



تصدرها رابطة العالم الإسلامي
مكة المكرمة

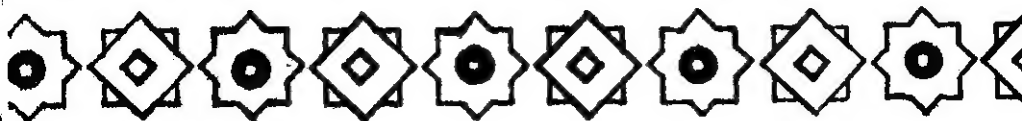
من سمات

الأدب الإسلامي

بقلم :

د. مصطفى عبدالواحد

السنة الحادية عشرة - العدد ١٢٨ - شعبان ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م



المقدمة

الحمد لله رب العالمين . . والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وامام
المرسلين المبعوث رحمة للعالمين . وبعد . . .

فهذه نظرات في ديوان الشعر العربي - تدل على أثر الإسلام في
الشعر . . في عصوره المختلفة . . وتدفع دعاوي المقتريين الذي يزعمون
ان الإسلام أضعف الشعر الذي تأثر به . . وان الشاعر لا يستطيع
الإبداع إلا إذا فارق الدين والجماعة !

● ولم يكن بالمستطاع - في هذا البحث الموجز - تعقب الأثر
الإسلامي في كل عصر ولدى كل شاعر . . وإنما هي أمثلة تدل على
ماوراءها . . وتلفت النظر إلى وجوب التحرر من هذه الأفكار السقيمة
التي تريد جعل الأدب وسيلة لإثارة الفوضى الفكرية وسلاحاً في أيدي
أعداء الإيمان !

● وأرجو أن ينهض النقاد والباحثون المسلمون لتأكيد هذه الحقيقة
وكشف جوانب الإبداع والتفرد الذي حققه شعراء كثيرون في ظلال
الإسلام . . وإن كان كثير منهم قد لقي الإغفال والإهمال . .

ولا ينبغي أن نترك المجال للذين يزعمون أن الأدب - والشعر
خاصة - هي للشيطان . . لا يقربه المؤمنون المتقون ولا يصيبون فيه
مكاناً !

إنه مجال من مجالات الجهاد لرفع راية الإيمان وتأكيد أثره في حياة
الإنسان . . . ومن الله سبحانه الهداية والتوفيق . . .

د. مصطفى عبدالواحد

الأستاذ بقسم الدراسات العليا العربية

بكلية اللغة العربية - جامعة أم القرى

رمضان سنة ١٤١٢هـ

مارس سنة ١٩٩٢م

من سمات الأدب الإسلامي

حين نتحدث عن سمات الأدب الإسلامي فإننا نتجاوز الوقوف عند إثبات وجود ذلك الأدب والرد على شبهات من يارون في تأثير الإسلام في الأدب ويزعمون أن الأدب بطبيعته منفصل عن العقيدة والحقيقة والأخلاق . . ذلك لأن مجادلة هؤلاء عناء لا طائل تحته ، فإنهم يتجاهلون حقائق التاريخ وينكرون الواقع الملموس في تأثر الأديب بالبيئة ومايسودها من قيم وماتشتغل به من غايات . . ويحاولون تصوير الأدب على أنه غياب عن الواقع وحلم لا يقظة منه .

إن موقفهم من قضية الإسلام والشعر ، خاصة ، موقف بعيد عن الموضوعية والإنصاف . .

ونمثل لموقف هؤلاء بكلام على أحمد سعيد الملقب أدونيس في كتابه «صدمة الحداثة» فالله قد أبدع له المضمون (العقيدة الإسلامية) والتاريخ الهريق لغة وشعراً أبدع له الشكل ، فمن أين له هو أن يبدع ما يفوقهما ؟ إن مهمته هي في أن يأخذ ما أعطى له ، وأن يجيد في محاكاته واستعادته فهو لا يبدع بل ينسخ ويصوغ» (١) .

ويزعم هذا الشاعر المجترى على العقيدة الإسلامية في شعره الفوضوي أن «النبوة حلت محل الشعر إلى مستوى الفاعلية الثانية ، صار

(١) صدمة الحداثة ص ٢٣٤ الطبعة الرابعة بيروت ١٩٨٢ .

أداة لخدمة الدين ينشره ويدافع عنه ويمجده ، وهذا يعني - كما يقول - أن الإسلام ألغى الشعر من حيث أنه مصدر للمعرفة ، أو من حيث أنه طريقة أصلية في استبطان العالم والكشف عنه ومعرفته ، وأثبتته كأداة كلامية للدفاع عن الدين» (٢٨) .

• ويمضي أدونيس في مزاعمه التي يشوه فيها صورة الأدب الإسلامي الملتزم بحقائق الإسلام ، فيقول : «ليس الشاعر في الإسلام (ذاتاً) وإنما هو جزء في الجماعة الإسلامية ، فليس هو الذي يفكر بل الجماعة ، وليس هو الذي يكتب ، بل الشكل - اللغة والشعر جزء من عملية النشاط العام الذي تقوم به الجماعة» .

تلك مقدمات باطلة انتهى «أدونيس» منها إلى النتيجة التي أرادها ، والتي يقوم على أساسها اتجاهه وأشياعه إلى الدعوة إلى فصل الشعر العربي عن العقيدة ، بل وإغراء الشعراء بالهجوم عليها ومعاداتها إن أرادوا الإبداع والعبقرية ، استمع إليه إذ يقول :

«إن الشعر العربي لم يبدأ بالنهوض إلا حين بدأ الشاعر يقيم مسافة بينه وبين الايديولوجية الدينية من جهة وبينه وبين «الجماعة» بالمعنى الديني من جهة ثانية ، أو حين بدأ الانفصال بتعبير آخر بين الذات والجماعة ، في محاولة من الشاعر لاستعادة ذاته «الضائعة» في «الجماعة» وفي «الدين» في هذا الانفصال أخذ الشاعر يدخل العالم «المحرم» ويرفض الأشكال والأفكار المسبقة ، وإذا كان هذا الانفصال عزله عن الجمهور الوارث القديم فقد وصله بجمهور ناشئ جديد ، وقد بلغت هذه الحركة من الانفصال والاتصال أوجها في نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) في نتاج أبي نواس وأبي تمام» (٣) .

(٣) المصدر السابق ٢٣٦ .

دعوة للإنفصال عن العقيدة !

هكذا يرى هؤلاء المخادعون ان الشاعر إذا أراد الإبداع وتحقيق ذاته فلا بد أن ينفصل عن العقيدة - وهذا مايعنيه أدونيس بإقامة المسافة بين الشاعر وبين الأيديولوجية الدينية - كما لابد له أيضاً في نظرهم من الإنفصال عن أمته أو الجماعة بالمعنى الديني بتعبير أدونيس - فذات الشاعر تضيق في نظر هذا الناقد الحدائي في الجماعة وفي الدين ، ومن هنا لابد له من الدخول إلى العالم «المحرم» حتى يؤكد انفصاله عن الدين ، ولابد له من رفض الأشكال التراثية حتى يؤكد انفصاله عن الجماعة !

ومن هذا الفهم الخاطئ المضلل ينطلق هؤلاء في عصرنا لتأكيد أن الحداثة والإبداع والخروج مما يسمونه «الماضوية» لا تتحقق إلا بالتححر من الدين والانفصال عن شعور الجماعة ، وكلام أدونيس في كتابه «صدمة الحداثة» يمثل موقف هؤلاء ويعبر عنه إذ يقول :

«والدين مايزال مهيمناً على الحياة المدنية بكاملها ، وعلى الحياة الثقافية والتشريعية والسياسية ، ومايزال الوعي الطبقي مطموساً بهذه الهيمنة الدينية على الأخص (المؤمنون جماعة واحدة ، أمة واحدة . . . الخ) ولذلك فإن الصراع الطبقي مايزال هو الآخر مطموساً» (٤) .

ويتتهي فيلسوف الحداثة وشاعرها إلى : «أن دور هذا الشاعر - العربي المبدع - هو في أن ينتج فعالية جمالية لا يستوحىها من المادة السائدة بقوة «الأيديولوجية» السائدة ، بل يستوحىها على العكس ، من الطاقة الكامنة المقموعة ، لكن القادرة على تغيير شروطها وإبداع شروط

(٤) المرجع السابق ص ٢٤٠ .

وهكذا أوصد المعادون للدين والأمة الباب أمام الشاعر المسلم الملتزم بالعقيدة والحقيقة والأخلاق . . فهو في نظرهم لا يمكن أن يحقق الإبداع . . ولا أن يجد ذاته الضائعة كما يقولون في الدين وفي الجماعة . . فإن أراد العبقرية والتفرد فليس أمامه إلا أن يهاجم العقيدة وينفصل عنها . . ويصادم الجماعة ويعزل نفسه عن مشكلاتها وهمومها وقضاياها ، ويفجر الصراع الطبقي الذي يتحسر أدونيس على أنه ما يزال مطموساً بتأثير فكرة الأمة الواحدة التي جاء بها الإسلام !

لابد من الرجوع إلى ديوان الشعر العربي :

إن مناقشة هذه المزاعم ومقاومة هذه الأباطيل تحتاج إلى كتب ضخمة ، تثبت لهؤلاء أن الشاعر المسلم الملتزم قد استطاع الإبداع ، وقد وجد ذاته في العقيدة الإسلامية التي فسرت له الكون والحياة ، ووسعت نطاق وعيه بالإيمان بالغيب وربطت بين الدنيا والآخرة وفسرت له مغزى الحياة وخلصته من الشعور بالضيق والقلق والحسرة . . كما وجد ذاته في التعبير عن هموم أمته وآمالها . . والارتباط بتاريخها واستشعار الأخوة الإسلامية الجامعة التي تؤلف بين الأبيض والأحمر والعربي وغير العربي . . بل تجعله يستشعر الأخوة الإيمانية الجامعة بينه وبين المؤمنين في كل جيل وقبيل : ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ . وليس السبيل إلى إثبات هذه الحقائق هو مجرد تقريرها ، بل لابد من الرجوع إلى ديوان الشعر العربي منذ فجر الإسلام حتى اليوم - لنجد روح الإسلام تسرى فيه ، ولنجد الارتباط بالعقيدة وبالأمة واضحاً حتى عند هؤلاء الذين يدعي المفكرون

أنهم خرجوا على العقيدة ورفضوا تراث الأمة !
ثم بعد ذلك النظر في آداب الشعوب الإسلامية من غير العرب ،
لنرى كيف أثر الإسلام في تلك الآداب أعمق الأثر ، وكيف استطاع
الأدباء المسلمون - الذين كتبوا بلغاتهم - الإبداع وتحقيق الذات بفضل
ارتباطهم بالإسلام وبالجماعة ، لا بسبب انفصالهم عنها ..

«اليوت» .. والدين !

إن هذا العمل الذي يضع الأمور في نصابها ، يكشف زيف
دعاوي المبطلين محتاج إلى جهد وخطوة علمية ينبغي أن تضطلع بها
الجامعات العربية والإسلامية ، للكشف عن إبداع الشعراء والكتاب في
ظلال الإسلام ، ولتنقض الزعم بأن الإبداع والشاعرية لا يتحققان إلا
بالبعد عن العقيدة والانفصال عن الجماعة ، كما يدعي هؤلاء المفترون
وماذا يقول هؤلاء في تحول الشاعر الأمريكي الإنجليزي «ت . س .
اليوت» الذي كان من أتباع المدرسة الرمزية ، حين أعلن في النصف
الثاني من عمره «أنه أنجلو كاثوليكي دينياً ، وكلاسيكي أدبياً ..» وقد
انعكس هذا التحول على علاقته بالنظرية الرمزية (٦) .

«يقول تـدال : مثلما اقترب «اليوت» في قصائده الأخيرة من
المسيحية كان اقترابه من الرمزيين ، فلم يعد يتكئ بصفة أساسية على
الصورة الشعرية ، بل أصبح اهتمامه منصباً على إثارة الفكر والشعور عن
طريق الإيقاع والتقريرات الشريفة الموحية .. ولعل قصيدته «أربعاء
الرماد» من أغنى النماذج بخصائص هذه المرحلة ، وفيها يندمج آخر أثر
لما كان يحسه الشاعر من مرارة ، ببوادر شجن جديد تعبر عنه مواقف
غنائية ذات نبرات مسيحية واضحة :

(٦) الرمز والرمزية في الشعر المعاصر للدكتور محمد فتوح أحمد ص ٩٧ الطبعة الثالثة القاهرة ١٩٨٤ م.

أيتها الأخت المباركة

أيتها الأم المقدسة

ياروح النافورة

ياروح الحديقة

لا تذرنا نخدع بالزيف أنفسنا(٧)

فهل يرى أدونيس وأشياعه أن اقتراب «اليوت» من المسيحية
وتعصبه لها . . وأن رجوعه إلى الكلاسيكية الأدبية قد أفقده إبداعه
وأضاع ذاته . . أم أنه يغتفر في المسيحية ما لا يغتفر في الإسلام ؟!

وهذا كاتب عن «اليوت» في ذكره المئوية التي حلت عام ١٩٨٩
يقول : «ويتحول - اليوت - إلى الكنيسة الإنجليزية وينادي بأنه
كلاسيكي في الأدب ، ملكي في السياسة ، أنجلو كاثوليكي في الدين ،
بل يصبح متعصباً للدين وضرورته في تطهير حياة الفرد وقيم المجتمع ،
ولكنه يصبح على رأس شعراء عصره وأكثرهم نفوذاً ، ويؤسس لنفسه
مكانة مرموقة في النقد والشعر على السواء»(٨) فهل اتباع الإسلام وحده
هو الذي يفضي بالشاعر إلى الضياع والتأخر . . ؟!

إنها مأساة فادحة أصابت نفراً منا ، يتكلمون بلساننا ، لكن
قلوبهم وعقولهم في أودية أخرى بعيدة عن أفق العروبة والإسلام .

شاهد منهم :

ولابد هنا من الإشارة إلى صحوة الضمير عند بعض النقاد
الأوروبيين ، الذي سئموا من ترداد الدعاوي التي تباعد بين الأدب

(٧) المرجع السابق ص ٩٨ .
(٨) الدكتور على شلش : اليوت في ذكره المئوية . مجلة العربي عدد يناير ١٩٨٩ م .

والعقيدة والحقيقة والأخلاق ، ومن هؤلاء الناقد المعاصر «تزفيتان تودوروف» الفرنسي الجنسية الذي تلقى ثقافته في بلغاريا ثم رحل إلى باريس حيث استكملها وتأثر باتجاهات النقد البنيوي الأسلوب . .
هذا الناقد قال بعض الحقيقة في لمحات من كتابه : «نقد النقد» واستمع إليه إذ يقول :

«فمنذ مائتي عام ردّد علينا الرومانتيكيون وورثتهم الذين لا يحصون ، كل منهم بشكل أفضل من الآخر أن الأدب لغة تجمّد غايتها في ذاتها ، حان الوقت للرجوع إلى البداهيات التي من المفترض عدم نسيانها : للأدب علاقة بالوجود الإنساني ، إنه - تَبّاً لأولئك الذين يخشون الكلمات الكبيرة - خطاب موجه نحو الحقيقة والأخلاق . . كان سارتر يقول : «إن الأدب هو كشف للإنسان والعالم» . وكان على حق ، ولن يكون الأدب شيئاً إذا لم يتح لنا أن نفهم الحياة بصورة أفضل» (٩) .

هكذا رجع «تودوروف» إلى الحقيقة بعد طول تشتت وغربة وضياح ، وهكذا أدرك ضرورة توثيق العلاقة بين الأدب والوجود الإنساني ، وضرورة اتجاهه نحو الحقيقة والأخلاق . ويتضح هذا من قوله :

«أدب وأخلاق : سيصبح معاصري : أي فظاعة ! وأنا بالذات كنت أعتقد مع اكتشافي حولي لأدب مرهون للسياسة أنه يجب قطع أي صلة للأدب بكل ماعداه وصونه منه ، إلا أن العلاقة بالقيم هي من صميم الأدب ، ليس لأنه من المستحيل الحديث عن الوجود دون الرجوع إليها وحسب ، وإنما أيضاً لأن فعل الكتابة هو فعل اتصال ، مما يتضمن إمكان التفاهم باسم القيم المشتركة (١٠) .

(٩) نقد النقد لتودوروف ص ١٤٩ ترجمة سامي سويدان الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦ م بيروت مركز الإنماء القومي .

(١٠) الوساطة ص ٦٤ تحقيق أبي الفضل والبجاوي .

وهو الذي يقول : «يمكن لنقائض الناقد النبوي أن تعرض
بمكتسبات الاختصاصي بالأيدولوجيات . . فلا يكتفي «بإذا قال»
وإنما يستكمل بـ «هل هو على حق؟» (١١) .

هذه آخر صيحة لدى النقد الجديد ، الذي مازال نفر من أدبائنا
ييشرون به ويهتفون باسمه لكنهم يكاثمون ، فيرددون المقولات القديمة ،
ويخفون ما فيه انتصار للعقيدة والحقيقة والأخلاق . . يزعمون لنا أن غاية
الشعر هي الشعر . . وأن غاية اللغة هي اللغة . . ويخفوننا من الاتصال
بالعقيدة أو الإلتناء إلى التراث . . حتى لا نقطع عن الركب ولا نقع في
مهاوي التخلف . .

ولكن آيات الله تظهر في الآفاق . . والعقلاء من شتى الأجناس
والأديان يراجعون أنفسهم ، ويكفون عن العبث الذي لا طائل تحته . .
وعن الخراب الروحي والجفاف الوجداني الذي يؤدي إليه الأدب
الفوضوي المتوحش المنطلق بلا غاية ولا هدف . .

أرى أن هذه المقدمة قد طالت . . لكنها ليست استطراداً بعيداً عن
الموضوع ، بل هي حجر الأساس في القضية التي نحن بصدددها ، إذ أننا
بإزاء محاريين غير شرفاء ، يؤولون متعسفين . . ويكتمون الحق وهم
يعلمون ، ويستوردون لنا نفايات الأفكار وشواذ الآراء ويعظمونها غاية
التعظيم ، بينما يزرون بآراء السابقين والمعاصرين مادامت لا تصدر من
منطلق التبعية والإنقياد . . ويفرحون بالنقاط كلمات عابرة يؤسسون
عليها دعاوي ضخمة . . ككلمة القاضي الجرجاني في كتابه الوساطة بين
المتنبي وخصومه التي قال فيها : «والدين بمعزل عن الشعر» (١١) .

الرجائي بري، !

لقد فرح بها بعض هؤلاء الذين يرون الحداثة في المباحدة بين الشاعر وبين الدين وبينه وبين الأمة . . واقتطعوها من سياقها ، ونسوا أن الجرجاني بصدد الدفاع عن المتنبي وإنصافه ممن تجنوا عليه ، ومن حاولوا تأخير رتبته في الشعر بسبب بعض الأخطاء العقيدية في ديوانه . . مع أن هؤلاء يحتملون لسواه من الشعراء ما لا يحتملون له ولهذا قال :

«والعجب ممن يتقص أبا الطيب ويغض من شعره لأبيات وجدها تدل على ضعف العقيدة وفساد المذهب كقوله . . وهو يحتمل لأبي نواس قوله . . »

فلم يقصد الجرجاني إلى جواز خروج الشاعر عن العقيدة ولم يسوِّغ له ذلك ، ولم يحاول الفصل بين الإسلام والشعر ، بل كان بصدد موازنة في أمر القدرة الفنية لأبي الطيب المتنبي .

وقد ناقش مقولة الجرجاني هذه بعض النقاد الإسلاميين المعاصرين كالدكتور عبدالباسط بدر في كتابه «مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي» وذلك إذ يقول «وإذا تجاوزنا ما عرف عن الجرجاني أنه قاض ورع ملتزم بالإسلام ونظرنا إلى العبارات مجردة عن سياقها لكان لنا أن نناقش الجرجاني ونرد قوله بسهولة ، ذلك أن قياس المتنبي وأبي نواس على الشعراء الجاهليين لا يصح إطلاقاً ، ومن غير المقبول أن أطالب الجاهليين بمقاييس إسلامية ولا أنكر على هؤلاء أن يأتوا بما يخالف عقيدتي .

ولكنني أنكر على المتنبي وأبي نواس أن يصدمني أحدهما أو كلاهما في شعوري الديني . وقياس المتنبي على أبي نواس كما يقول الدكتور إحسان عباس غير مقنع ، لأن ما يصدم المشاعر الدينية أو الوطنية أو

العقدية إجمالاً ليس من قبيل الخطأ في الاستعارة أو الإفراط في الشعر، إذ الأول يتطلب من الناقد جهداً بالغاً للفصل بين مجالين والثاني يتطلب منه لباقة في التوجيه والتفسير « وقل في الناس من يستطيع أن يتجرد من علاقته المبدئية لياشر الحكم من زاوية فنية خالصة ، فالصدمة في هذا المجال لا تعالج بالمقايسة » (١٢) .

ومما يدل على مقصد القاضي الجرجاني من كلمته تلك أنه يقول بعدها بصفحات كثيرة بعد استعراض مواقف النقاد من الشعراء :
«ولسنا نذهب فيما نذكره مذهب الإحتجاج والتحسين ولا نقصد به قصد العذر والتسويغ » وإنما نقول :

«إنه عيب مشترك وذنب مقسم ، فإن احتمل فللكل ، وإن رد فعلى الجميع ، وإنما حظ أبي الطيب فيه حظ واحد من عرض الشعراء ، وموقعه منه موقع رجل من المحدثين » (١٣) وكما قال الدكتور عبدالباسط بدر :

«فالجرجاني لا يدافع عن مضمون الأبيات ولا يعتذر عما ورد فيها من معان ، وإنما يمر إلى القضية التي تشغله « قضية الإقرار بشاعرية المتنبي ، ولاشك أن الاعتراف بالقدرة الشعرية شيء وقبول القصيدة شيء آخر ، فالحالة الأولى فنية محضة ، والثانية تقويم متكامل تدخل فيه الأدوات الفنية ودلالات القصيدة في وقت واحد « فلا يمكن أن نقول عن قصيدة هجى بها المسلمين أنها ليست شعراً ، أو ان صورها ليست مصوغة بدقة وبراعة ، ولكن لا شيء يحملنا على قبولها أو الإعجاب بها » (١٤) .

(١٢) مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي للدكتور عبدالباسط بدر ص ١٣٨ الطبعة الأولى سنة سنة ١٤٠٥ دار المنارة جدة ، وانظر تاريخ النقد للدكتور احسان عباس ٣١٩ .

(١٣) الوساطة ص ٤٢٨ .

(١٤) مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي ص ١٤٠ .

ولو كان الدين حقاً بمعزل عن الشعر ، لما جاء في محكم القرآن الحكم على الشعر ، والتفريق بين ما كان منه ملتزماً بالعقيدة معبراً عن الأخلاق الكريمة ، وما كان وسيلة لتزيين الشرور وإثارة الشهوات وانتهاك الحرمات . قال الحق تبارك وتعالى :

﴿والشعراء يتَّبِعُهم الغاؤون * ألم ترأنهم في كل وادٍ يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أيَّ متقلب ينقلبون﴾ (١٥) .

للإسلام رأيه في الشعر :

فهذا دليل لا ينقض على ان للإسلام رأيه في الشعر وموقفه منه ، وأنه يحكم على الشعر بمضمونه وهدفه ، وأنه لا يترك الشعراء على أهوائهم يعبثون بالكلمة ويهيمون في الأودية ، ويجعلون القول بمعزل عن العمل ، ولهذا مدح الكتاب الكريم الشعراء :

﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا﴾

لأن ثمرة الإيمان والصلاح والذكر والدفاع عن الحق ، لا بد أن تكون كلمات نافعة صادقة داعية إلى الخير ، مصورة لكل ما هو جميل في الكون والنفس والحياة . .

وكذلك كان الموقف النبوي الكريم من الشعر ملتزماً بهذا المنهج ناظراً إلى هذا الفن بهذا المنظار ، فقد استمع النبي ﷺ إلى شعر الحكمة وتمثل به . فقد روي الترمذي في صحيحه والبخاري في الأدب المفرد عن

(١٥) سورة الشعراء ٢٢٤ - ٢٢٧ .

المقدام بن شريح عن أبيه قال :

قلت لعائشة رضي الله عنها : أكان رسول الله ﷺ يتمثل بشيء من الشعر ؟ فقالت :

« كان يتمثل بشيء من شعر عبد الله بن رواحة ويتمثل ويقول :
ويأتيك بالأخبار من لم تزود » (١٦) .

واستمع ﷺ إلى شعر أمية بن أبي الصلت ، كما روى مسلم في صحيحه عن عمرو بن الشريد عن الشريد قال : استشهدني النبي ﷺ شعر أمية بن أبي الصلت فأنشدته فأخذ النبي ﷺ يقول . هيه هيه . حتى أنشدته مائة قافية فقال : « إن كاد ليسلم » (١٧) .

وقد قال ﷺ فيما رواه البخاري في صحيحه عن أبي بن كعب « إن من الشعر حكمة » .

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل » .

وفي لفظ آخر لمسلم أيضاً :

« أصدق بيت قالته الشعراء » (١٨) .

فالصدق قيمة من القيم الإسلامية التي يوزن بها الشعر ومعيار من معايير نقده .

والحكم الإسلامي على الشعر في عموميه يرجع إلى تلك المقولة الماثورة عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم ، والتي رواها البخاري في

(١٦) الأدب المفرد للبخاري حديث رقم ٨٦٧ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . وستن الترمذي كتاب الأدب .

(١٧) صحيح مسلم كتاب الشعر حديث ١ ، باب ما جاء في إنشاد الشعر .

(١٨) صحيح مسلم كتاب الشعر ٣٠٢/٢ - ٣٠٣ (ط عيسى الحلبي)

الأدب المفرد . فعن خالد ابن كيسان قال : كنت عند ابن عمر فوقف ابن خيثمة فقال : ألا أنشدك من شعري يا ابن الفاروق؟

قال : بلى ولكن لا تنشدني إلا حسناً .

فأنشده حتى بلغ شيئاً كرهه ابن عمر قال له : أمسك (١٩) .

وروى عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول :

الشعر منه حسن ومنه قبيح ، خذ بالحسن ودع القبيح ، ولقد رويت من شعر كعب بن مالك أشعاراً منها القصيدة فيها أربعون بيتاً ودون ذلك (٢٠) .

وقد روي في ذلك المعنى حديث مرفوع - لكنه ليس في شيء من الكتب الستة - بل انفرد به البخاري في الأدب المفرد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنها قال : قال رسول الله ﷺ : « الشعر بمنزلة الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام » (٢١) .

وأصل ذلك كله في الكتاب الكريم في قول الحق سبحانه :

﴿ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعاً عليماً ﴾ (٢٢) .

فالمسلم الحق شاعراً كان أو غير شاعر لا يجهر بالسوء من القول ، ولا ينجح بالكلمة إلى الشر والعدوان ، وهو على وعي بمغزى المثل الذي ضربه الحق سبحانه للكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة ، والفارق بينهما بعيد جداً ، مع أن كلا منهما مكون من حروف وأصوات ومقاطع ، لكن الذي يجعل هذه طيبة وتلك خبيثة ما وراء الكلمة من اعتقاد وما ترمي إليه من هدف .

(١٩) الأدب المفرد البخاري حديث رقم ٨٥٦ . (٢٠) الأدب المفرد حديث رقم ٨٦٦ .

(٢١) الأدب المفرد حديث رقم ٨٦٥ . (٢٢) سورة النساء ١٤٧ .

لا استثناء للشعر :

فكيف يزعم الزاعمون ان الشعر مستثنى من الحكم الإسلامي على الكلمة ، وان الشاعر يمكن أن ينال المجد في مجاله الشعري مع كفره أو فسقه أو عدوانه ، بحجة ان المسلمين مازالوا يرددون الشعر الجاهلي وهو نتاج كفره مشركين ، وشعر الزنادقة والمجّان والخلفاء في العصر العباسي ولا يخرجونهم من ديوان الشعراء !

إن في هذا القول خلطاً ومغالطة لا بد من الاحتراز عنها ، فنحن نروي الشعر الجاهلي استشهاده على اللغة ، لا إعجاباً بمضمون ولا رضا عما يحويه من عقائد فاسدة أو مسالك مردية .

وفي هذا الشعر الجاهلي ما يتضمن حكماً وتجارب صادقة ، مما تهدي إليه الفطرة ويستحسنه العقل ولا يعارض التوجيه الإسلامي ولا يناقض نظرة الإسلام إلى الحياة ، كهذا البيت الذي شهد له النبي ﷺ فيها صح عنه أنه أصدق كلمة قالها شاعر :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وكل نعيم لا محالة زائل

وبيت طرفه بن العبد الذي تمثل النبي ﷺ بشرط منه :

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ولهذا قال ﷺ «إن من الشعر حكمة» ولم يقل إن الشعر حكمة ،

لأن الشعر كله ليس من هذا النمط الصادر عن روية وتفكير المعبر عن خبرة وتجربة .

السمة الأولى للأدب الإسلامي :

ومن هنا فإن السمة الأولى التي يتميز بها الأدب الإسلامي بداهة

هي التزامه بعقيدة الإسلام ورؤيته للكون من خلال منظار الإسلام .

فالأديب المسلم حقاً هو الذي يحدد صلاته بالكون والحياة بحدود الإسلام ، فينظر إلى الكون نظرة إيمانية ترى فيه صنعة صانع مبدع حكيم ، فيقرأ آيات القدرة في كل ما تقع عليه عيناه ، ويستجلى دلائل الوجدانية في كل ما يصوره ، ويفسر الظواهر والأحداث بمقتضى العقيدة التي اطمأن إليها قلبه . .

وهو يتعامل مع الحياة والأحياء بهذا المقياس . . ولا تخرجه عنه رهبة ولا رغبة . .

غير أن هذا الالتزام بالعقيدة والحقيقة والأخلاق الإسلامية لا يجعل الأدباء المسلمين نمطاً واحداً في التعبير والتصوير ، ولا يجعل عملهم مجرد النسخ ، كما زعم «أدونيس» ومن على شاكلته ممن يكرهون ارتباط الأدب بعقيدة الإسلام ، ويرون في ذلك الارتباط قضاء على الأدب وموتاً لوجدان الشاعر . .

إن هذا زعم مغرض بعيد عن الحقيقة التاريخية والواقعية . . ولو كان هذا الزعم صحيحاً لكفى الإسلام شاعراً واحداً . . أو كاتب واحد . . مادام عمل الأديب المسلم كما يزعم هؤلاء أن يأخذ ما أعطي وإن ينسخ ويصوغ . . إن الحقيقة واحدة . . ولكن التعبير عنها يخرج من خلال تصور الشاعر أو الكاتب ورؤيته لتلك الحقيقة . .

وليس ذلك في أمر العقيدة فحسب . . بل إنه يسري في صلة الأديب عامة والشاعر خاصة بالكون والحياة . .

ولنأخذ مثلاً الوصف . . فالطبيعة التي يصورها الشاعر واحدة . . كالحظة الشروق أو الغروب وجمال الزهر وأمواج البحر . . فهل يجيء تعبير الشعراء عن انفعالهم بهذه الطبيعة على نمط واحد؟! . .

وكذلك نظرهم إلى المرأة ، وهو الموضوع الشائع المتبدل في كل

الآداب وكل العصور . . فهل يغني قول واحد منهم في هذا الموضوع عن قول الآخرين . .

زعم باطل :

إن الزعم بأن التزام الأديب المسلم بعقيدة الإسلام يحول بينه وبين الابداع ، وببِهِ مضموناً لا يحيد عنه . . هو زعم باطل لا حجة له . . وإلا فلننظر إلى بداية صلة الشعر العربي بالإسلام في عصر النبوة ، ونشأة الغرض الإسلامي في ذلك الشعر . . فهل نجد شعراء الصحابة نمطاً واحداً . . مع أن الغرض واحد . . والروح التي سرت في ذلك الشعر روح واحدة ؟

إن شعر عبدالله بن رواحة . . يتميز عن شعر حسان بن ثابت . . وحسان يتميز عن كعب بن مالك . . وإن كانت تلك الفترة لا تصلح مقياساً لثبوت الأثر الذي أحدثه الإسلام في الشعر . . فقد كان لابد أن تمضي فترة تتيح للشاعر عمق النظرة ، وتغزله عن المأثور من المعاني والصور الجاهلية ، وتمكنه من التأثر بالمعاني والأساليب القرآنية وبجوامع الكلم التي أوتيها محمد ﷺ .

مثالان للمخضرمين :

ولن نسوق شواهد من أشعار هؤلاء الثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ لشهرتها ، لكنني سأضرب المثل لإبداع الشاعر المسلم الملتزم ، في بداية صلة الإسلام بالشعر بشاعرين مخضرمين ، عاشا في الجاهلية وادركا الإسلام ، وأسما ، أولهما «حميد بن ثور الهلالي ، وثانيهما «العجاج بن ربيعة» .

١- أما حميد بن ثور الهلالي :

فقد أدرك زمن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وتوفي على الأرجح - في أيام عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ويعد من فحول الشعراء المجيدين .

قال عنه الأصمعي :

العلماء من شعراء العرب في الإسلام أربعة : راعي الإبل النميري ، وتميم بن مقبل ، وابن أحرر الباهلي ، وحميد الهلالي (٢٣) .

ولاشك أنه أسلم فحسن إسلامه ، وهو معدود من الصحابة ، وقد ترجمت له الكتب المؤلفة في الصحابة كأسد الغابة ، والإصابة ، والاستيعاب .

قال ابن الأثير في ترجمته :

«شهد حينئذ مع الكفار ، ثم أسلم ، قدم على النبي - ﷺ - وأنشده قصيدة مطلعها :

أضحى فؤادي من سليمى مقصداً

إن خطأ منها ، وإن تعمداً

وفي آخرها :

حتى أراتنا ربنا محمداً يتلو من الله كتاباً مرشداً

فلم نكذب ، وخررنا سُجداً نعطي الزكاة ، ونقيم المسجدا

وروى الزبير بن بكار :

(٢٣) مقدمة ديوانه تحقيق عبدالعزيز الميمني ط دار الكتب المصرية سنة ١٣٧١ هـ - ١٩٥١ م .

ان حميداً قدم على النبي - ﷺ - وأنشده :

فلا يبعد الله الشباب وقولنا

إذا ما صبونا صبوةً ستتوب

ليالي أبصار الغواني ، وسمعها

وليلئ ، وإذ ريحُ لمن جنوبُ

وإذ ما يقول الناس شيء مَعَوَّلٌ

علينا ، وإذ غُصنُ الشباب رطيب (٢٤)

فمن الواضح ، أنه حين أسلم كان ما يزال متأثراً بترعة الشاعر

الجاهلي ، ونظرتة إلى الحياة ، وقد أقلع بعد الإسلام عن هذا النمط ،

وخاصة في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الذي حظر على

الشعراء التشييب بالنساء .

ولكن حميداً كان يرى غزله عفيفاً ، فكيف يؤخذ عليه ؟ !

ولهذا قال :

فهل أنا إن علَّلت نفسي بسرحة

من السَّرح مسدودٌ علىَّ طريقُ

والسرحة أصلها شجرة من العظام لا شوك لها ، والعرب تكني بها

عن المرأة . وجاء في ديوانه :

لما حظر عمر رضي الله عنه « أو غيره من الخلفاء ذكر النساء قال

حميد :

تجرم أهلها لأن كنت مشعراً

جنوناً بها ، ياطول هذا التجرّم

ومالي من ذنب إليهم علمته

سوى أنني قد قلت : يا سرحة اسلمي

(٢٤) أسد الغابة ٥٤ / ٢ . طبعة مصورة بدار احياء التراث العربي - بيروت .

بلى فاسلمي ، ثم اسلمي ، ثم اسلمي

ثلاث تحيات وإن لم تكلمي (٢٥)

المهم أن التزام حميد بن ثور بعد إسلامه بعقيدة الإسلام وأخلاقه ، لم يجعله صورة من حسان بن ثابت ، أو عبدالله بن رواحة ، بل ظهر هذا الالتزام في نطاق ذاتيته الإبداعية ، بل وفي الموضوعات العاطفية ، التي قد يظن أنها مجال للانحراف عن قيم الإسلام ، ففي قصيدته الميمية التي قاربت مائة وعشرين بيتاً ، والتي قالها في أواخر عمره ما يدل على التزامه بعقيدة الإسلام وأخلاقه دون أن يفقد رؤيته الشاعرية ، وحرية الفنية .

وقد بدأها بالنسيب العفيف الذي لا حرج فيه إذ يقول :

سَلِ الرَّبْعَ أَنِي يَمُمْتُ أُمُّ سَالِمٍ

وهل عادة للربيع أن يتكلما؟

وقولا لها يا حبذا أنت هل بدا لها

أو أرادت بعدنا أن تأيما (٢٦)

ومما يدل على أن هذه القصيدة من أواخر شعره بعد أن أدرك الإسلام قوله فيها :

أرى بصري قد رايتني بعد جدّة

وحسبك داء أن تصحّ وتسلما

ولا يلبثُ العصران يوماً ، وليلة

إذا طلبا أن يدركا ماتيمّا

ومع أن موضوع القصيدة عاطفي يتسم بالعفاف ويخلو من كلمة فحش أو جهر بسوء فقد ظهرت فيه سمات الاعتقاد الإسلامي ، والتوجيه

الخلقي للإسلام فلنستمع إليه يقول مخاطباً صاحبيه :
خليلٍ إِنِّي مُشْتَكٍ ما أَصابني
لتستيقنا ما قد لقيتُ ، وتعلّمَا
أُمليكما ان الأمانة مَنْ يَخُونُ
بها يحتمل يوماً من الله مأثِمًا
فلا تُفْشِيا سرّاً ، ولا تُخْذِلا أخا
أُبشّكما منه الحديثَ المكثّرَ
وفيها يقول أيضاً :

فما منكم إلا رأيناه دانيا
إلينا بحمد الله في العين مسلما
ويرجع الصاحبان إلى الشاعر ، ولم يبلغا رسالته الشفهية العفيفة
التي بينها بقوله :

وقولا لها ما تأمرين بصاحب
لنا قد تركت القلب منه متيّما
أبينني لنا ، إنا رحلنا مطيئنا
إليك وما نرجوه إلا تلوئنا
أي لا نطمع في بقاءه حيا إلا يسيرا .
فجاءا ، ولما يقضيالي حاجة
إلى ولما يبرما الأمر مبرما
ألم تعلمَا أَني مصابٌ فتذكُرا
بلائي إذا ما جُزِف قوم تهذّما

وحسبنا في هذه القصيدة الطويلة ، روعتها الفنية ، وبراءتها من
سمات الجاهلية الغليظة في النظرة إلى المرأة والتفحش في الغزل ، فهذا

بلى فاسلمي ، ثم اسلمي ، ثم اسلمي

ثلاث تحيات وإن لم تكلمي (٢٥)

المهم أن التزام حميد بن ثور بعد إسلامه بعقيدة الإسلام وأخلاقه ، لم يجعله صورة من حسان بن ثابت ، أو عبدالله بن رواحة ، بل ظهر هذا الالتزام في نطاق ذاتيته الإبداعية ، بل وفي الموضوعات العاطفية ، التي قد يظن أنها مجال للانحراف عن قيم الإسلام ، ففي قصيدته الميمية التي قاربت مائة وعشرين بيتاً ، والتي قالها في أواخر عمره ما يدل على التزامه بعقيدة الإسلام وأخلاقه دون أن يفقد رؤيته الشاعرية ، وحرية الفنية .

وقد بدأها بالنسيب العفيف الذي لا حرج فيه إذ يقول :

سَلِ الرَّبْعَ أَنِي يَمُمْتُ أُمُّ سَالِمٍ

وهل عادة للربيع أن يتكلما؟

وقولا لها يا حبذا أنت هل بدا لها

أو أرادت بعدنا أن تأيما (٢٦)

ومما يدل على أن هذه القصيدة من أواخر شعره بعد أن أدرك الإسلام قوله فيها :

أرى بصري قد رايتني بعد جدّة

وحسبك داء أن تصحّ وتسلما

ولا يلبثُ العصران يوماً ، وليلة

إذا طلبا أن يدركا ماتيمّا

ومع أن موضوع القصيدة عاطفي يتسم بالعفاف ويخلو من كلمة فحش أو جهر بسوء فقد ظهرت فيه سمات الاعتقاد الإسلامي ، والتوجيه

مفهومة لديه ، وهذا هو مجال الإبداع أمام الشاعر المسلم « حين يتأمل الكون ، ويتعاطف مع الكائنات بما أمده الإسلام من روح إنسانية ، تقدر وترى فيها مجالي للتعرف على آيات الله ، وهذا ما يفسر لنا أن حميد بن ثور الهلالي هو نفسه صاحب أول قصيدة في الأدب العربي فيها محاولة للإقتراب من حيوان وحشي ورسم صورة نفسية له ، والتعرف على أبعاد حياته تخالف ما جرى عليه الشعر الجاهلي في تصويره لأوابد الحيوان . تلك هي قصيدته في وصف الذئب التي ذهب بعض أبياتها مثلاً كقوله :

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي

بأخرى المنايا فهو يقظان هاجس

وكأنها يعذر حميد بن ثور الذئب ويرى له حقاً في الحصول على الطعام ، ويعجب لصبره ، وحيلته إذ يقول :

هو البعل (٢٦) الداني من الناس كالذي

له صحبة ، وهو العدو المنازع

ترى طرفيه يعسلان كلاهما

كما اهتز عود الساسم المتتابع

إذا خاف جوراً من عدو رمت به

غالبه ، والجانب المتواضع

وإن بات وحشاً ليلة لم يضق بها

ذرعاً ، ولم يصبح لها ، وهو خاضع

وإن حذرت أرض عليه فإنه

بغرة أخرى طيب النفس قانع

(٢٦) البعل : البرم بأمره أو الخائف الذي لا يدري ما يفعل والعقيدة في ديوان ص ١٠٣ .

بلى فاسلمي ، ثم اسلمي ، ثم اسلمي

ثلاث تحيات وإن لم تكلمي (٢٥)

المهم أن التزام حميد بن ثور بعد إسلامه بعقيدة الإسلام وأخلاقه ، لم يجعله صورة من حسان بن ثابت ، أو عبدالله بن رواحة ، بل ظهر هذا الالتزام في نطاق ذاتيته الإبداعية ، بل وفي الموضوعات العاطفية ، التي قد يظن أنها مجال للانحراف عن قيم الإسلام ، ففي قصيدته الميمية التي قاربت مائة وعشرين بيتاً ، والتي قالها في أواخر عمره ما يدل على التزامه بعقيدة الإسلام وأخلاقه دون أن يفقد رؤيته الشاعرية ، وحرية الفنية .

وقد بدأها بالنسيب العفيف الذي لا حرج فيه إذ يقول :

سَلِ الرَّبْعَ أَنِي يَمُمْتُ أُمُّ سَالِمٍ

وهل عادة للربيع أن يتكلما؟

وقولا لها يا حبذا أنت هل بدا لها

أو أرادت بعدنا أن تأيما (٢٦)

ومما يدل على أن هذه القصيدة من أواخر شعره بعد أن أدرك الإسلام قوله فيها :

أرى بصري قد رايتني بعد جدّة

وحسبك داء أن تصحّ وتسلما

ولا يلبثُ العصران يوماً ، وليلة

إذا طلبا أن يدركا ماتيمّا

ومع أن موضوع القصيدة عاطفي يتسم بالعفاف ويخلو من كلمة فحش أو جهر بسوء فقد ظهرت فيه سمات الاعتقاد الإسلامي ، والتوجيه

وهكذا يتضح أن تأثر الشاعر بالعقيدة الإسلامية لا يعني أنه يردد التساييح والمواعظ ، بل إنه ينظر إلى الوجود نظراً فسيحاً بالنور الذي اقتبسه من تلك العقيدة .

ذو الرمة .. ومشاعر الظبية!

وإذا كان لنا ان نستطرد في هذا الموضوع لنذكر السمة الإنسانية التي صنعها الإسلام في نفوس شعرائه تجاه التأمل في الحيوان باعتباره كائناً مستحقاً للعطف ، والرفق والرحمة ..

فإننا نكتفي بالإشارة إلى تميز الشاعر الأموي «ذي الرمة» في لوحاته التي صور فيها مشاهد من حياة حيوان الصحراء سكب فيها أرق العواطف وأحناها حتى ليفهم أحاسيس الحيوان ، ويصغى لمشاعره خارجاً بذلك عن نطاق المنفعة والرغبة في وصف الحيوان - وهو موقف الشاعر الجاهلي - إلى مجال الاحساس بالجمال وتأمل آيات القدرة في مشاهد الطبيعة الحية .

لنستمع إليه إذ يصور حنان الظبية على ولدها ، فيقول :

إذا استودعته ، صفصفاً أو صريمة

تنحت ، ونصت جيدها للمناظر (٢٧)

حذارا على وسان يصرعه الكرى

بكل مقيل من ضفاف فواتر

وتهجره إلا اختلاساً بطرفها

وكم من محب رهبة العين هاجر

حذار المنايا رهبة أن يفتنها

به وهي إلا ذاك أضعف ناصر

(٢٧) الصفصف : الفلاة لا نبات فيها والصريمة : القطعة من الرمل ، ونصت جيدها : رفعت .
والآليات في ديوانه ص ٢٨٦ (ط أوربا) .

بلى فاسلمي ، ثم اسلمي ، ثم اسلمي

ثلاث تحيات وإن لم تكلمي (٢٥)

المهم أن التزام حميد بن ثور بعد إسلامه بعقيدة الإسلام وأخلاقه ، لم يجعله صورة من حسان بن ثابت ، أو عبدالله بن رواحة ، بل ظهر هذا الالتزام في نطاق ذاتيته الإبداعية ، بل وفي الموضوعات العاطفية ، التي قد يظن أنها مجال للانحراف عن قيم الإسلام ، ففي قصيدته الميمية التي قاربت مائة وعشرين بيتاً ، والتي قالها في أواخر عمره ما يدل على التزامه بعقيدة الإسلام وأخلاقه دون أن يفقد رؤيته الشاعرية ، وحرية الفنية .

وقد بدأها بالنسيب العفيف الذي لا حرج فيه إذ يقول :

سَلِ الرَّبْعَ أَنِي يَمُمْتُ أُمُّ سَالِمٍ

وهل عادة للربيع أن يتكلما؟

وقولا لها يا حبذا أنت هل بدا لها

أو أرادت بعدنا أن تأيما (٢٦)

ومما يدل على أن هذه القصيدة من أواخر شعره بعد أن أدرك الإسلام قوله فيها :

أرى بصري قد رايتني بعد جدّة

وحسبك داء أن تصحّ وتسلما

ولا يلبثُ العصران يوماً ، وليلة

إذا طلبا أن يدركا ماتيمّا

ومع أن موضوع القصيدة عاطفي يتسم بالعفاف ويخلو من كلمة فحش أو جهر بسوء فقد ظهرت فيه سمات الاعتقاد الإسلامي ، والتوجيه

بلى فاسلمي ، ثم اسلمي ، ثم اسلمي

ثلاث تحيات وإن لم تكلمي (٢٥)

المهم أن التزام حميد بن ثور بعد إسلامه بعقيدة الإسلام وأخلاقه ، لم يجعله صورة من حسان بن ثابت ، أو عبدالله بن رواحة ، بل ظهر هذا الالتزام في نطاق ذاتيته الإبداعية ، بل وفي الموضوعات العاطفية ، التي قد يظن أنها مجال للانحراف عن قيم الإسلام ، ففي قصيدته الميمية التي قاربت مائة وعشرين بيتاً ، والتي قالها في أواخر عمره ما يدل على التزامه بعقيدة الإسلام وأخلاقه دون أن يفقد رؤيته الشاعرية ، وحرية الفنية .

وقد بدأها بالنسيب العفيف الذي لا حرج فيه إذ يقول :

سَلِ الرَّبْعَ أَنِي يَمُمْتُ أُمُّ سَالِمٍ

وهل عادة للربيع أن يتكلما؟

وقولا لها يا حبذا أنت هل بدا لها

أو أرادت بعدنا أن تأيما (٢٦)

ومما يدل على أن هذه القصيدة من أواخر شعره بعد أن أدرك الإسلام قوله فيها :

أرى بصري قد رايتني بعد جدّة

وحسبك داء أن تصحّ وتسلما

ولا يلبثُ العصران يوماً ، وليلة

إذا طلبا أن يدركا ماتيمّا

ومع أن موضوع القصيدة عاطفي يتسم بالعفاف ويخلو من كلمة فحش أو جهر بسوء فقد ظهرت فيه سمات الاعتقاد الإسلامي ، والتوجيه

بلى فاسلمي ، ثم اسلمي ، ثم اسلمي

ثلاث تحيات وإن لم تكلمي (٢٥)

المهم أن التزام حميد بن ثور بعد إسلامه بعقيدة الإسلام وأخلاقه ، لم يجعله صورة من حسان بن ثابت ، أو عبدالله بن رواحة ، بل ظهر هذا الالتزام في نطاق ذاتيته الإبداعية ، بل وفي الموضوعات العاطفية ، التي قد يظن أنها مجال للانحراف عن قيم الإسلام ، ففي قصيدته الميمية التي قاربت مائة وعشرين بيتاً ، والتي قالها في أواخر عمره ما يدل على التزامه بعقيدة الإسلام وأخلاقه دون أن يفقد رؤيته الشاعرية ، وحرية الفنية .

وقد بدأها بالنسيب العفيف الذي لا حرج فيه إذ يقول :

سَلِ الرَّبْعَ أَنِي يَمُمْتُ أُمُّ سَالِمٍ

وهل عادة للربيع أن يتكلما؟

وقولا لها يا حبذا أنت هل بدا لها

أو أرادت بعدنا أن تأيما (٢٦)

ومما يدل على أن هذه القصيدة من أواخر شعره بعد أن أدرك الإسلام قوله فيها :

أرى بصري قد رايتني بعد جدّة

وحسبك داء أن تصحّ وتسلما

ولا يلبثُ العصران يوماً ، وليلة

إذا طلبا أن يدركا ماتيمّا

ومع أن موضوع القصيدة عاطفي يتسم بالعفاف ويخلو من كلمة فحش أو جهر بسوء فقد ظهرت فيه سمات الاعتقاد الإسلامي ، والتوجيه

بلى فاسلمي ، ثم اسلمي ، ثم اسلمي

ثلاث تحيات وإن لم تكلمي (٢٥)

المهم أن التزام حميد بن ثور بعد إسلامه بعقيدة الإسلام وأخلاقه ، لم يجعله صورة من حسان بن ثابت ، أو عبدالله بن رواحة ، بل ظهر هذا الالتزام في نطاق ذاتيته الإبداعية ، بل وفي الموضوعات العاطفية ، التي قد يظن أنها مجال للانحراف عن قيم الإسلام ، ففي قصيدته الميمية التي قاربت مائة وعشرين بيتاً ، والتي قالها في أواخر عمره ما يدل على التزامه بعقيدة الإسلام وأخلاقه دون أن يفقد رؤيته الشاعرية ، وحرية الفنية .

وقد بدأها بالنسيب العفيف الذي لا حرج فيه إذ يقول :

سَلِ الرَّبْعَ أَنِي يَمُمْتُ أُمُّ سَالِمٍ

وهل عادة للربيع أن يتكلما؟

وقولا لها يا حبذا أنت هل بدا لها

أو أرادت بعدنا أن تأيما (٢٦)

ومما يدل على أن هذه القصيدة من أواخر شعره بعد أن أدرك الإسلام قوله فيها :

أرى بصري قد رايتني بعد جدّة

وحسبك داء أن تصحّ وتسلما

ولا يلبثُ العصران يوماً ، وليلة

إذا طلبا أن يدركا ماتيمّا

ومع أن موضوع القصيدة عاطفي يتسم بالعفاف ويخلو من كلمة فحش أو جهر بسوء فقد ظهرت فيه سمات الاعتقاد الإسلامي ، والتوجيه

بلى فاسلمي ، ثم اسلمي ، ثم اسلمي

ثلاث تحيات وإن لم تكلمي (٢٥)

المهم أن التزام حميد بن ثور بعد إسلامه بعقيدة الإسلام وأخلاقه ، لم يجعله صورة من حسان بن ثابت ، أو عبدالله بن رواحة ، بل ظهر هذا الالتزام في نطاق ذاتيته الإبداعية ، بل وفي الموضوعات العاطفية ، التي قد يظن أنها مجال للانحراف عن قيم الإسلام ، ففي قصيدته الميمية التي قاربت مائة وعشرين بيتاً ، والتي قالها في أواخر عمره ما يدل على التزامه بعقيدة الإسلام وأخلاقه دون أن يفقد رؤيته الشاعرية ، وحرية الفنية .

وقد بدأها بالنسيب العفيف الذي لا حرج فيه إذ يقول :

سَلِ الرَّبْعَ أَنِي يَمُمْتُ أُمُّ سَالِمٍ

وهل عادة للربيع أن يتكلما؟

وقولا لها يا حبذا أنت هل بدا لها

أو أرادت بعدنا أن تأيما (٢٦)

ومما يدل على أن هذه القصيدة من أواخر شعره بعد أن أدرك الإسلام قوله فيها :

أرى بصري قد رايتني بعد جدّة

وحسبك داء أن تصحّ وتسلما

ولا يلبثُ العصران يوماً ، وليلة

إذا طلبا أن يدركا ماتيمّا

ومع أن موضوع القصيدة عاطفي يتسم بالعفاف ويخلو من كلمة فحش أو جهر بسوء فقد ظهرت فيه سمات الاعتقاد الإسلامي ، والتوجيه

بلى فاسلمي ، ثم اسلمي ، ثم اسلمي

ثلاث تحيات وإن لم تكلمي (٢٥)

المهم أن التزام حميد بن ثور بعد إسلامه بعقيدة الإسلام وأخلاقه ، لم يجعله صورة من حسان بن ثابت ، أو عبدالله بن رواحة ، بل ظهر هذا الالتزام في نطاق ذاتيته الإبداعية ، بل وفي الموضوعات العاطفية ، التي قد يظن أنها مجال للانحراف عن قيم الإسلام ، ففي قصيدته الميمية التي قاربت مائة وعشرين بيتاً ، والتي قالها في أواخر عمره ما يدل على التزامه بعقيدة الإسلام وأخلاقه دون أن يفقد رؤيته الشاعرية ، وحرية الفنية .

وقد بدأها بالنسيب العفيف الذي لا حرج فيه إذ يقول :

سَلِ الرَّبْعَ أَنِي يَمُمْتُ أُمُّ سَالِمٍ

وهل عادة للربيع أن يتكلما؟

وقولا لها يا حبذا أنت هل بدا لها

أو أرادت بعدنا أن تأيما (٢٦)

ومما يدل على أن هذه القصيدة من أواخر شعره بعد أن أدرك الإسلام قوله فيها :

أرى بصري قد رايتني بعد جدّة

وحسبك داء أن تصحّ وتسلما

ولا يلبثُ العصران يوماً ، وليلة

إذا طلبا أن يدركا ماتيمّا

ومع أن موضوع القصيدة عاطفي يتسم بالعفاف ويخلو من كلمة فحش أو جهر بسوء فقد ظهرت فيه سمات الاعتقاد الإسلامي ، والتوجيه

بلى فاسلمي ، ثم اسلمي ، ثم اسلمي

ثلاث تحيات وإن لم تكلمي (٢٥)

المهم أن التزام حميد بن ثور بعد إسلامه بعقيدة الإسلام وأخلاقه ، لم يجعله صورة من حسان بن ثابت ، أو عبدالله بن رواحة ، بل ظهر هذا الالتزام في نطاق ذاتيته الإبداعية ، بل وفي الموضوعات العاطفية ، التي قد يظن أنها مجال للانحراف عن قيم الإسلام ، ففي قصيدته الميمية التي قاربت مائة وعشرين بيتاً ، والتي قالها في أواخر عمره ما يدل على التزامه بعقيدة الإسلام وأخلاقه دون أن يفقد رؤيته الشاعرية ، وحرية الفنية .

وقد بدأها بالنسيب العفيف الذي لا حرج فيه إذ يقول :

سَلِ الرَّبْعَ أَنِي يَمُمْتُ أُمُّ سَالِمٍ

وهل عادة للربيع أن يتكلما؟

وقولا لها يا حبذا أنت هل بدا لها

أو أرادت بعدنا أن تأيما (٢٦)

ومما يدل على أن هذه القصيدة من أواخر شعره بعد أن أدرك الإسلام قوله فيها :

أرى بصري قد رايتني بعد جدّة

وحسبك داء أن تصحّ وتسلما

ولا يلبثُ العصران يوماً ، وليلة

إذا طلبا أن يدركا ماتيمّا

ومع أن موضوع القصيدة عاطفي يتسم بالعفاف ويخلو من كلمة فحش أو جهر بسوء فقد ظهرت فيه سمات الاعتقاد الإسلامي ، والتوجيه

بلى فاسلمي ، ثم اسلمي ، ثم اسلمي

ثلاث تحيات وإن لم تكلمي (٢٥)

المهم أن التزام حميد بن ثور بعد إسلامه بعقيدة الإسلام وأخلاقه ، لم يجعله صورة من حسان بن ثابت ، أو عبدالله بن رواحة ، بل ظهر هذا الالتزام في نطاق ذاتيته الإبداعية ، بل وفي الموضوعات العاطفية ، التي قد يظن أنها مجال للانحراف عن قيم الإسلام ، ففي قصيدته الميمية التي قاربت مائة وعشرين بيتاً ، والتي قالها في أواخر عمره ما يدل على التزامه بعقيدة الإسلام وأخلاقه دون أن يفقد رؤيته الشاعرية ، وحرية الفنية .

وقد بدأها بالنسيب العفيف الذي لا حرج فيه إذ يقول :

سَلِ الرَّبْعَ أَنِي يَمُمْتُ أُمُّ سَالِمٍ

وهل عادة للربيع أن يتكلما؟

وقولا لها يا حبذا أنت هل بدا لها

أو أرادت بعدنا أن تأيما (٢٦)

ومما يدل على أن هذه القصيدة من أواخر شعره بعد أن أدرك الإسلام قوله فيها :

أرى بصري قد رايتني بعد جدّة

وحسبك داء أن تصحّ وتسلما

ولا يلبثُ العصران يوماً ، وليلة

إذا طلبا أن يدركا ماتيمّا

ومع أن موضوع القصيدة عاطفي يتسم بالعفاف ويخلو من كلمة فحش أو جهر بسوء فقد ظهرت فيه سمات الاعتقاد الإسلامي ، والتوجيه

بذلّها إلا بإحسان كما
 أنتمّ نعيماء على مَنْ أسلمنا
 لا أشتمّ المرّة الكريم المسلمنا
 ولا أرى شتمّ البريء مغنماً
 ولا ابن عمي أن أراه مُفحماً
 وجارة البيت أراها محرماً
 كما قضاهما الله إلا أننا
 مكارم السعى لئن تكررنا
 غافلة الله وعلماً أننا
 يجزي المجازي عاملاً ما قدّمنا (٣٩)

فهنا يتضح تأثيره بالمعاني والألفاظ القرآنية . . كتبديل النعمة وإتمامها . . وقضاء الله بمعنى أمره لعباده . .

ولا نستطيع في هذا المجال ان نستقصي جوانب التأثير الإسلامي الواضح في رجز العجاج ، فذلك يحتاج إلى بحث مفرد ، ولكننا نشير إلى وفرة الشواهد في ديوانه التي تدل على تحوله الكامل من النظرة الجاهلية إلى نظرة الإسلام ، وأن تأثيره بالمعاني والصور القرآنية تأثر بالغ ، كما أنه قد تأثر بالشكل واللفظ والنسق الذي استفاده من القرآن . .

تجربة ذاتية :

وهذه قصيدة طويلة له ، بدأها بالحمد لله ، تأثرأبها في الكتاب من بدء لبعض السور بذلك الحمد = كقوله تعالى : ﴿ الحمد لله الذي أنزل

(٣٩) ديوانه ٢٦١ - ٢٦٣ .

بلى فاسلمي ، ثم اسلمي ، ثم اسلمي

ثلاث تحيات وإن لم تكلمي (٢٥)

المهم أن التزام حميد بن ثور بعد إسلامه بعقيدة الإسلام وأخلاقه ، لم يجعله صورة من حسان بن ثابت ، أو عبدالله بن رواحة ، بل ظهر هذا الالتزام في نطاق ذاتيته الإبداعية ، بل وفي الموضوعات العاطفية ، التي قد يظن أنها مجال للانحراف عن قيم الإسلام ، ففي قصيدته الميمية التي قاربت مائة وعشرين بيتاً ، والتي قالها في أواخر عمره ما يدل على التزامه بعقيدة الإسلام وأخلاقه دون أن يفقد رؤيته الشاعرية ، وحرية الفنية .

وقد بدأها بالنسيب العفيف الذي لا حرج فيه إذ يقول :

سَلِ الرَّبْعَ أَنِي يَمُمْتُ أُمُّ سَالِمٍ

وهل عادة للربيع أن يتكلما؟

وقولا لها يا حبذا أنت هل بدا لها

أو أرادت بعدنا أن تأيما (٢٦)

ومما يدل على أن هذه القصيدة من أواخر شعره بعد أن أدرك الإسلام قوله فيها :

أرى بصري قد رايتني بعد جدّة

وحسبك داء أن تصحّ وتسلما

ولا يلبثُ العصران يوماً ، وليلة

إذا طلبا أن يدركا ماتيمّا

ومع أن موضوع القصيدة عاطفي يتسم بالعفاف ويخلو من كلمة فحش أو جهر بسوء فقد ظهرت فيه سمات الاعتقاد الإسلامي ، والتوجيه

انشقاق السماء بِقَدِّ مَئْثَها ، وعن زلزلة الأرض بِرُجِّ البلاد ، وكلها تتصل بالإيمان بالغيب الذي أخبر به القرآن . ثم نأتي إلى الجانب الثاني في هذه القصيدة ، ويتضح فيه إحساس العجّاج بسعة رحمة الله ولطفه بعباده المؤمنين وذلك إذ يقول :

وليلة من الليالي مرت
بكابد كابدتها وجرت
كلكلها لولا الإله ضرت
في ظلم أزلها فـزلت
عني لولا الله ما تجلت
بت لها يقظان واقسأنت أي
اشتدت

إذا رجوت أن تضيء أسودّت
دون قدامى الصبح فارجحنت^(١)
كأنما نجومها إذ ولّت
زورا تبارى الغور إذ تدلّت
وهو الذي أبصر ليلاً لمعتني
بالكف إذ أمسك بالمصوت^(٢)
وحالت ألأواژ دون نشغي^(٣)
على خيازيمي وعضّت لكتي
وكزيتي وقد تدانث كزيتي !

(١) ارجحت : ثقلت ورجحت . (٢) النشفة : الاقاقة .

(٢) المصوت (بفتح الواو) : موضع الكلام والمصوت بكسر الواو : اللسان

بلى فاسلمي ، ثم اسلمي ، ثم اسلمي

ثلاث تحيات وإن لم تكلمي (٢٥)

المهم أن التزام حميد بن ثور بعد إسلامه بعقيدة الإسلام وأخلاقه ، لم يجعله صورة من حسان بن ثابت ، أو عبدالله بن رواحة ، بل ظهر هذا الالتزام في نطاق ذاتيته الإبداعية ، بل وفي الموضوعات العاطفية ، التي قد يظن أنها مجال للانحراف عن قيم الإسلام ، ففي قصيدته الميمية التي قاربت مائة وعشرين بيتاً ، والتي قالها في أواخر عمره ما يدل على التزامه بعقيدة الإسلام وأخلاقه دون أن يفقد رؤيته الشاعرية ، وحرية الفنية .

وقد بدأها بالنسيب العفيف الذي لا حرج فيه إذ يقول :

سَلِ الرَّبْعَ أَنِي يَمُمْتُ أُمُّ سَالِمٍ

وهل عادة للربيع أن يتكلما؟

وقولا لها يا حبذا أنت هل بدا لها

أو أرادت بعدنا أن تأيما (٢٦)

ومما يدل على أن هذه القصيدة من أواخر شعره بعد أن أدرك الإسلام قوله فيها :

أرى بصري قد رايتني بعد جدّة

وحسبك داء أن تصحّ وتسلما

ولا يلبثُ العصران يوماً ، وليلة

إذا طلبا أن يدركا ماتيمّا

ومع أن موضوع القصيدة عاطفي يتسم بالعفاف ويخلو من كلمة فحش أو جهر بسوء فقد ظهرت فيه سمات الاعتقاد الإسلامي ، والتوجيه

بأن تخفّ جَزْعاً . . أو خَفَّتِ :

هل أنا إلا رجلٌ مِنْ أُمَّتِي؟!

أقضي كِمِثْلٍ بَعْضُ ما قد قَضَيْتِ

أو عِظَةٌ إِنْ نَفْسٌ حُرٌّ بَلَّتِ (٨)

وليس في القصيدة غرض آخر من

مدح أو فخر أو غزل . . فهي تصور تجربة ذاتية للشاعر عاناها خلال مرضه . . تقف من صورها العجيبة الكثيرة الصادرة عن يقين الإيمان عند قوله :

وهو الذي أبصر ليلاً لَمَقْتَى

بالكف إذ أَمْسِكَ بالمَصْرُوتِ

يريد : لمعته بكفه في جوف الليل حين يرفعها داعياً ربه مستغيثاً برحمته . . وذلك حين عجز لسانه عن الكلام من شدة مرضه كما يدل عليه قوله : إذ أَمْسِكَ بالصوت . . كأن المرض قد أَمْسَكَ لسانه وحال بينه وبين النطق بالدعاء . . فرفع كفيه إلى السماء وهو موقن أن الحق سبحانه يرى إشارته بكفه ويستجيب لتضرعه الصامت . .

كما نشير إلى قوله :

هل أنا إلا رجلٌ مِنْ أُمَّتِي !

لتبين منه ارتباط الشاعر بمعني الأمة ووعيه بأساس الإنتماء الإسلامي . . «إن هذه أمتكم أمة واحدة»

وهذا الإنتماء هو ما يريد المخربون المعاصرون اقتلاعه من الجذور بحجة أن غاية الشعر هي الشعر . .

ولا شأن له بالأمة ولا المجتمع ولا الحياة !

(٨) بليت : نجت .

والشواهد على صدق تأثر العجاج بالعقيدة والأخلاق الإسلامية في شعره نحتاج معها إلى صحبته في ديوانه كله ، وأنى لنا ذلك في هذا الحيز الضيق ، ونكتفي بهذا الشاهد الأخير على وعيه بتوجيه الإسلام للشاعر بالكف عن الهجاء الكاذب الفاحش إذ يقول في مطلع قطعة من أرجازه :

تالله لولا أن تحشَّ الطُّبَّيخُ (٩)

بي الجحيم . . حين لا مُستَصْرَحُ

في دُخْلِ النار وقد تسلَّخوا

لَعَلِمَ الْجُهَّالُ أَنِّي مِفْنَحُ (١٠)

فالذي يمنعه من الغلبة في الهجاء والرد على الشعراء هو خوفه أن يكون وقود النار يوم القيامة ! وكفى بذلك التزاماً بأداب الإسلام !

(٩) الحشَّ إيقاد النار . والطبخ : جمع طابخ يريد من يسعون النار .

(١٠) المِفْنَحُ : الذي يقلب خصمه أسوأ الغلبة !

شعراء، اخلصوا شعرهم للإسلام :

● إذا كان بعض ما يقال عن شاعرين مخضرمين ظهر أثر الإسلام في معانيهما وصورهما . . . ولم يفقدا خاصية الإبداع والتفرد . . ولم يكونا صورة منسوخة لمضمون واحد يرددانه دون وعي ، كما يدعي المقترون ، فما بالناس بالحديث عن الشعراء الذين ولدوا ونشأوا في ظلال الإسلام ، بعد أن أصبح الإسلام هو أساس الحياة وموجه المجتمع إلى غاياته .

● انني أجزم بأننا لو رجعنا إلى شعراء العصر الأموي لوجدنا لدى الكثير منهم صوراً معجبة من التأثير العميق بالإسلام وصدق التعبير عن عقيدته وأخلاقه . . . رغم ما يدعيه المفرضون من أن الشعر العربي ارتد إلى جاهليته في العصر الأموي ، أو بقي عليها ، لأنهم لا يعترفون بأن روح الإسلام قد ظهرت بوضوح في الشعر العربي . . . وأشير هنا إلى محاولتي في قراءة ديوان الفرزدق للتعرف إلى أثر الإسلام في شعره ، فوجدت ذلك شيئاً ، استغرقت الإشارة المجملية إليه ما يقرب من مائة صفحة كبيرة . . . فما بالناس لو وقفنا أمامه وقفة تأمل وتحليل . . . وقد طبع هذا البحث منذ سبع سنوات . . . ولو أجرينا التجربة نفسها مع شعراء آخرين كذي الرمة وجربير والأحوص وغيرهم لوجدنا الدلائل الواضحة على أن الأدب الإسلامي قد خط طريقه وأوضح معالمه للسائرين . .

ولكن الإنحراف عن هذا الخط كان يقع بتأثير فتن في أفق السياسة والمجتمع ، اتجهت بالشعراء إلى معارك مصطنعة لشغل الناس بها وصرف اهتمامهم نحوها . .

وأشير هنا إلى الشاعر الأموي الأحوص ، فرغم اشتغاله بالهجاء وشدة الخصومة بينه وبين ولئ المدينة أبي بكر بن حزم الذي أبعده

والشواهد على صدق تأثر العجاج بالعقيدة والأخلاق الإسلامية في شعره نحتاج معها إلى صحبته في ديوانه كله ، وأنى لنا ذلك في هذا الحيز الضيق ، ونكتفي بهذا الشاهد الأخير على وعيه بتوجيه الإسلام للشاعر بالكف عن الهجاء الكاذب الفاحش إذ يقول في مطلع قطعة من أرجازه :

تالله لولا أن تحشَّ الطُّبَّيخُ (٩)

بي الجحيم . . حين لا مُستَصْرَحُ

في دُخْلِ النار وقد تسلَّخوا

لَعَلِمَ الْجُهَّالُ أَنِّي مِفْنَحُ (١٠)

فالذي يمنعه من الغلبة في الهجاء والرد على الشعراء هو خوفه أن يكون وقود النار يوم القيامة ! وكفى بذلك التزاماً بأداب الإسلام !

(٩) الحشَّ إيقاد النار . والطبخ : جمع طابخ يريد من يسعون النار .

(١٠) المِفْنَحُ : الذي يقلب خصمه أسوأ الغلبة !

أما الخليلُ فلست فاجعه

والجار أوصاني به ربي(١)

لقد كان للإسلام أثره الواضح في توجيه التعبير عن العاطفة في الأدب العربي .

ولم يكن باستطاعة الشعر العربي أن يغير موقفه من العاطفة أو يحسن التعبير عنها لو لم يتغير موقف المجتمع العربي - بفضل الإسلام - من المرأة هذا التغير العظيم الذي رفع مكانتها ونظر إليها نظرة إنسانية سامية تعلقو عن كونها أداة لهو ووسيلة متعة ، ولو لم يتطهر ذلك المجتمع من الآثام والفواحش ، ويعرف مبادئ الأخلاق الكريمة ومثل الإسلام الرفيعة .

شعر العاطفة العفيف :

إن الشعر الذي يمثل النظرة الإسلامية إلى العاطفة قد صدر عن كثير من الأحاد غير المشتهرين من الشعراء الإسلاميين وأفراد مجهولين حفظ المجتمع الإسلامي أشعارهم وعنى برواية بعضها أهل الرواية ، ولكن طغى على هذا الجانب المثالي ، شعر اللهو والمجون في العصر العباسي الذي ارتبط بشعراء مشهورين مقربين من الحكام وأصحاب الجاه . . .

ويدلنا على ذلك ان محمد بن داود الظاهري قد أورد في كتابه «الزهرة» وبعضهم من المجهولين لكن أحداً لم يهتم بهذا اللون من شعر العاطفة العفيف بعد ابن داود الذي عاش في القرن الثالث الهجري .

يروى ابن داود عن العَدْنِيس الكِنَانِي قوله :

(١) ديوانه ص ٨٢ - ٨٣ جمع وتحقيق/ عادل سليمان . الطبعة الأولى القاهرة : ١٣٩٠ - ١٩٧٠ م .

جزى الله الوشاة جزاء سوء
 فإنهم بنا قد يولعوننا
 ولو لم نخش إلا الناس كانوا
 علينا في الإساءة هيينا
 ولكننا نخاف الله حقاً
 ونخشى الله إسلاماً وديناً
 ونستحي ونرعى غيب مجمل
 ونحن على المودة منطوين (١)
 إن الشاعر المسلم يشعر كغيره بالعاطفة الفطرية ويتأثر بالجمال ،
 لكنه محكوم في تعبيره وسلوكه بالمنهج الخلقي الذي جاء به الإسلام .
 روى الزبير عن أبيه عن جده قال :
 قال عثمان زر حُبَابَةَ بالقَرْصَةِ
 تُحَدِّثُ تَحِيَّةً وَسَلَامًا
 ثم تلهو إلى الصبح ولا تقمر
 سرب في اللهو والحديث حراماً
 وصفوها فلم أزل عليم الله
 مُسْتَوَلَهَا مُسْتَهَامًا
 هل عليها في نظرة من جُناح
 من فتى لا يزور إلا لِمَامًا
 حال فيها الإسلام دون هواه
 فهو يهوى ويرقب الإسلاماً
 ويميل الهوى به ثم يخشى
 أن يطيع الهوى فيلقى أثاماً (٢)

(٢) ذم الهوى لابن الجوزي ٢٣٧ .

(١) الزهرة ١ / ٧٠ .

ولا نقف هنا عند حكم النظرة التي يتمناها هذا الشاعر . . .
فلعلها نظرة خاطب . . وهي جائزة بمقاييسها الشرعية لكننا نقف عند
الصراع النفسي الذي يواجهه بين الهوى الجامح والتوجيه الإسلامي
الراشد . . فهو يهوى ويرقب الإسلام . . ويميل الهوى به ثم يخشى أن
يطيع الهوى . .

فأين من هذا الأفق العالي ماتدنى إليه التعبير عن الغريزة لدى
فسقة الشعراء في القديم وفسقتهم في العصر الحديث - من إسفاف
وحوانية . . وإثارة للغرائز وإضرار لنيران الشهوات . . مما يسمونه حرية
وإبداعاً وهو الانحلال والانحطاط والعبودية للمنحلين . . .

ومع هذه التأثيرات العميقة للتوجيه الإسلامي في الأدب العربي
التي ظهرت لدى شعراء خلطوا عملوا صالحاً وآخر سيئاً - فقد ظهر في
تاريخ الشعر العربي شعراء أخلصوا أنفسهم لعقيدة الإسلام به . .
فلم يصدر عنهم قول سيئ ، ولم يتناولوا في أشعارهم غرضاً ياباه
هدى الإسلام . .

ونمثل هؤلاء بشاعر أموي في القرن الهجري الأول هو سابق
البربري . وشاعر عباسي في القرن السابع الهجري هو أبو يحيى
الصرصري .

وشاعر أندلسي في القرن الخامس الهجري هو أبو إسحق
الإلبيري .

ولا نستطيع في مجالنا هذا أن نقدم صورة مفصلة عن كل واحد من
هؤلاء ، فذلك يحتاج إلى دراسة واستقصاء .

بلى فاسلمي ، ثم اسلمي ، ثم اسلمي

ثلاث تحيات وإن لم تكلمي (٢٥)

المهم أن التزام حميد بن ثور بعد إسلامه بعقيدة الإسلام وأخلاقه ، لم يجعله صورة من حسان بن ثابت ، أو عبدالله بن رواحة ، بل ظهر هذا الالتزام في نطاق ذاتيته الإبداعية ، بل وفي الموضوعات العاطفية ، التي قد يظن أنها مجال للانحراف عن قيم الإسلام ، ففي قصيدته الميمية التي قاربت مائة وعشرين بيتاً ، والتي قالها في أواخر عمره ما يدل على التزامه بعقيدة الإسلام وأخلاقه دون أن يفقد رؤيته الشاعرية ، وحرية الفنية .

وقد بدأها بالنسيب العفيف الذي لا حرج فيه إذ يقول :

سَلِ الرَّبْعَ أَنِي يَمُمْتُ أُمُّ سَالِمٍ

وهل عادة للربيع أن يتكلما؟

وقولا لها يا حبذا أنت هل بدا لها

أو أرادت بعدنا أن تأيما (٢٦)

ومما يدل على أن هذه القصيدة من أواخر شعره بعد أن أدرك الإسلام قوله فيها :

أرى بصري قد رايتني بعد جدّة

وحسبك داء أن تصحّ وتسلما

ولا يلبثُ العصران يوماً ، وليلة

إذا طلبا أن يدركا ماتيمّا

ومع أن موضوع القصيدة عاطفي يتسم بالعفاف ويخلو من كلمة فحش أو جهر بسوء فقد ظهرت فيه سمات الاعتقاد الإسلامي ، والتوجيه

ولا نقف هنا عند حكم النظرة التي يتمناها هذا الشاعر . . .
فلعلها نظرة خاطب . . وهي جائزة بمقاييسها الشرعية لكننا نقف عند
الصراع النفسي الذي يواجهه بين الهوى الجامح والتوجيه الإسلامي
الراشد . . فهو يهوى ويرقب الإسلام . . ويميل الهوى به ثم يخشى أن
يطيع الهوى . .

فأين من هذا الأفق العالي ماتدنى إليه التعبير عن الغريزة لدى
فسقة الشعراء في القديم وفسقتهم في العصر الحديث - من إسفاف
وحوانية . . وإثارة للغرائز وإضرار لنيران الشهوات . . مما يسمونه حرية
وإبداعاً وهو الانحلال والانحطاط والعبودية للمنحلين . . .

ومع هذه التأثيرات العميقة للتوجيه الإسلامي في الأدب العربي
التي ظهرت لدى شعراء خلطوا عملوا صالحاً وآخر سيئاً - فقد ظهر في
تاريخ الشعر العربي شعراء أخلصوا أنفسهم لعقيدة الإسلام به . .
فلم يصدر عنهم قول سيئ ، ولم يتناولوا في أشعارهم غرضاً ياباه
هدى الإسلام . .

ونمثل هؤلاء بشاعر أموي في القرن الهجري الأول هو سابق
البربري . وشاعر عباسي في القرن السابع الهجري هو أبو يحيى
الصرصري .

وشاعر أندلسي في القرن الخامس الهجري هو أبو إسحق
الإلبيري .

ولا نستطيع في مجالنا هذا أن نقدم صورة مفصلة عن كل واحد من
هؤلاء ، فذلك يحتاج إلى دراسة واستقصاء .

والشواهد على صدق تأثر العجاج بالعقيدة والأخلاق الإسلامية في شعره نحتاج معها إلى صحبته في ديوانه كله ، وأنى لنا ذلك في هذا الحيز الضيق ، ونكتفي بهذا الشاهد الأخير على وعيه بتوجيه الإسلام للشاعر بالكف عن الهجاء الكاذب الفاحش إذ يقول في مطلع قطعة من أرجازه :

تالله لولا أن تحشَّ الطُّبَّيخُ (٩)

بي الجحيم . . حين لا مُستَصْرَحُ

في دُخْلِ النار وقد تسَلَّخُوا

لَعَلِمَ الْجُهَّالُ أَنِّي مِفْنَحُ (١٠)

فالذي يمنعه من الغلبة في الهجاء والرد على الشعراء هو خوفه أن يكون وقود النار يوم القيامة ! وكفى بذلك التزاماً بأداب الإسلام !

(٩) الحشَّ إيقاد النار . والطبخ : جمع طابخ يريد من يسعون النار .

(١٠) المِفْنَحُ : الذي يقلب خصمه أسوأ الغلبة !

ولا نقف هنا عند حكم النظرة التي يتمناها هذا الشاعر . . .
فلعلها نظرة خاطب . . وهي جائزة بمقاييسها الشرعية لكننا نقف عند
الصراع النفسي الذي يواجهه بين الهوى الجامح والتوجيه الإسلامي
الراشد . . فهو يهوى ويرقب الإسلام . . ويميل الهوى به ثم يخشى أن
يطيع الهوى . .

فأين من هذا الأفق العالي ماتدنى إليه التعبير عن الغريزة لدى
فسقة الشعراء في القديم وفسقتهم في العصر الحديث - من إسفاف
وحوانية . . وإثارة للغرائز وإضرار لنيران الشهوات . . مما يسمونه حرية
وإبداعاً وهو الانحلال والانحطاط والعبودية للمنحليين . . .

ومع هذه التأثيرات العميقة للتوجيه الإسلامي في الأدب العربي
التي ظهرت لدى شعراء خلطوا عملوا صالحاً وآخر سيئاً - فقد ظهر في
تاريخ الشعر العربي شعراء أخلصوا أنفسهم لعقيدة الإسلام به . .
فلم يصدر عنهم قول سيئ ، ولم يتناولوا في أشعارهم غرضاً ياباه
هدى الإسلام . .

ونمثل هؤلاء بشاعر أموي في القرن الهجري الأول هو سابق
البربري . وشاعر عباسي في القرن السابع الهجري هو ابويحيى
الصرصري .

وشاعر أندلسي في القرن الخامس الهجري هو أبو إسحق
الإليري .

ولا نستطيع في مجالنا هذا أن نقدم صورة مفصلة عن كل واحد من
هؤلاء ، فذلك يحتاج إلى دراسة واستقصاء .

والشواهد على صدق تأثر العجاج بالعقيدة والأخلاق الإسلامية في شعره نحتاج معها إلى صحبته في ديوانه كله ، وأنى لنا ذلك في هذا الحيز الضيق ، ونكتفي بهذا الشاهد الأخير على وعيه بتوجيه الإسلام للشاعر بالكف عن الهجاء الكاذب الفاحش إذ يقول في مطلع قطعة من أرجازه :

تالله لولا أن تحشَّ الطُّبَّيخُ (٩)

بي الجحيم . . حين لا مُستَصْرَحُ

في دُخْلِ النار وقد تسلَّخوا

لَعَلِمَ الْجُهَّالُ أَنِّي مِفْنَحُ (١٠)

فالذي يمنعه من الغلبة في الهجاء والرد على الشعراء هو خوفه أن يكون وقود النار يوم القيامة ! وكفى بذلك التزاماً بأداب الإسلام !

(٩) الحشَّ إيقاد النار . والطبخ : جمع طابخ يريد من يسعون النار .

(١٠) المِفْنَحُ : الذي يقلب خصمه أسوأ الغلبة !

ولا نقف هنا عند حكم النظرة التي يتمناها هذا الشاعر . . .
فلعلها نظرة خاطب . . وهي جائزة بمقاييسها الشرعية لكننا نقف عند
الصراع النفسي الذي يواجهه بين الهوى الجامح والتوجيه الإسلامي
الراشد . . فهو يهوى ويرقب الإسلام . . ويميل الهوى به ثم يخشى أن
يطيع الهوى . .

فأين من هذا الأفق العالي ماتدنى إليه التعبير عن الغريزة لدى
فسقة الشعراء في القديم وفسقتهم في العصر الحديث - من إسفاف
وحوانية . . وإثارة للغرائز وإضرار لنيران الشهوات . . مما يسمونه حرية
وإبداعاً وهو الانحلال والانحطاط والعبودية للمنحليين . . .

ومع هذه التأثيرات العميقة للتوجيه الإسلامي في الأدب العربي
التي ظهرت لدى شعراء خلطوا عملوا صالحاً وآخر سيئاً - فقد ظهر في
تاريخ الشعر العربي شعراء أخلصوا أنفسهم لعقيدة الإسلام به . .
فلم يصدر عنهم قول سيئ ، ولم يتناولوا في أشعارهم غرضاً ياباه
هدى الإسلام . .

ونمثل هؤلاء بشاعر أموي في القرن الهجري الأول هو سابق
البربري . وشاعر عباسي في القرن السابع الهجري هو أبو يحيى
الصرصري .

وشاعر أندلسي في القرن الخامس الهجري هو أبو إسحق
الإلبيري .

ولا نستطيع في مجالنا هذا أن نقدم صورة مفصلة عن كل واحد من
هؤلاء ، فذلك يحتاج إلى دراسة واستقصاء .

جزى الله الوشاة جزاء سوء
 فإنهم بنا قد يولعوننا
 ولو لم نخش إلا الناس كانوا
 علينا في الإساءة هيينا
 ولكننا نخاف الله حقاً
 ونخشى الله إسلاماً وديناً
 ونستخى ونرعى غيب مجمل
 ونحن على المودة منطوين (١)
 إن الشاعر المسلم يشعر كغيره بالعاطفة الفطرية ويتأثر بالجمال ،
 لكنه محكوم في تعبيره وسلوكه بالمنهج الخلقي الذي جاء به الإسلام .
 روى الزبير عن أبيه عن جده قال :
 قال عثمان زر حُبَابَةَ بِالْعَرَصَةِ
 تُحَدِّثُ تَحِيَّةً وَسَلَامًا
 ثم تلهو إلى الصباح ولا تقمر
 سرب في اللهو والحديث حراماً
 وصفوها فلم أزل عليم الله
 مُسْتَوَلَهَا مُسْتَهَامًا
 هل عليها في نظرة من جناح
 من فتى لا يزور إلا لأمًا
 حال فيها الإسلام دون هواه
 فهو يهوى ويرقب الإسلاماً
 ويميل الهوى به ثم يخشى
 أن يطيع الهوى فيلقى أثاماً (٢)

(٢) ذم الهوى لابن الجوزي ٢٣٧ .

(١) الزهرة ١ / ٧٠ .

ولا نقف هنا عند حكم النظرة التي يتمناها هذا الشاعر . . .
فلعلها نظرة خاطب . . وهي جائزة بمقاييسها الشرعية لكننا نقف عند
الصراع النفسي الذي يواجهه بين الهوى الجامح والتوجيه الإسلامي
الراشد . . فهو يهوى ويرقب الإسلام . . ويميل الهوى به ثم يخشى أن
يطيع الهوى . .

فأين من هذا الأفق العالي ماتدنى إليه التعبير عن الغريزة لدى
فسقة الشعراء في القديم وفسقتهم في العصر الحديث - من إسفاف
وحوانية . . وإثارة للغرائز وإضرار لنيران الشهوات . . مما يسمونه حرية
وإبداعاً وهو الانحلال والانحطاط والعبودية للمنحليين . . .

ومع هذه التأثيرات العميقة للتوجيه الإسلامي في الأدب العربي
التي ظهرت لدى شعراء خلطوا عملوا صالحاً وآخر سيئاً - فقد ظهر في
تاريخ الشعر العربي شعراء أخلصوا أنفسهم لعقيدة الإسلام به . .
فلم يصدر عنهم قول سيئ ، ولم يتناولوا في أشعارهم غرضاً ياباه
هدى الإسلام . .

ونمثل هؤلاء بشاعر أموي في القرن الهجري الأول هو سابق
البربري . وشاعر عباسي في القرن السابع الهجري هو أبو يحيى
الصرصري .

وشاعر أندلسي في القرن الخامس الهجري هو أبو إسحق
الإلبيري .

ولا نستطيع في مجالنا هذا أن نقدم صورة مفصلة عن كل واحد من
هؤلاء ، فذلك يحتاج إلى دراسة واستقصاء .

والشواهد على صدق تأثر العجاج بالعقيدة والأخلاق الإسلامية في شعره نحتاج معها إلى صحبته في ديوانه كله ، وأنى لنا ذلك في هذا الحيز الضيق ، ونكتفي بهذا الشاهد الأخير على وعيه بتوجيه الإسلام للشاعر بالكف عن الهجاء الكاذب الفاحش إذ يقول في مطلع قطعة من أرجازه :

تالله لولا أن تحشَّ الطُّبَّيخُ (٩)

بي الجحيم . . حين لا مُستَصْرَحُ

في دُخْلِ النار وقد تسلَّخوا

لَعَلِمَ الْجُهَّالُ أَنِّي مِفْنَحُ (١٠)

فالذي يمنعه من الغلبة في الهجاء والرد على الشعراء هو خوفه أن يكون وقود النار يوم القيامة ! وكفى بذلك التزاماً بأداب الإسلام !

(٩) الحشَّ إيقاد النار . والطبخ : جمع طابخ يريد من يسعون النار .

(١٠) المِفْنَحُ : الذي يقلب خصمه أسوأ الغلبة !

ولماذا يكون من حق «أراجون» «ايلوار» «ويتشي» أن يسخروا
شعرهم لقضايا بلادهم ولا يكون ذلك من حق شعرائنا(١)

الواقعية لا تنافي الإبداع :

المهم أن نؤكد أن واقعية الشعر وتناوله لقضايا الحياة ليست حائلاً
بينه وبين الإبداع . . وأن الشاعر المسلم لا يستطيع أن يتجاهل مشاعر
أُمته « ولا أن يفرح وهي محزنة . . ولا أن يشتغل بالتوافه . . وأُمته
تواجه الكوارث والخطوب . .

وهذا مانجده في شعر يحيى الصرصري البغدادي « الذي كان
يحاول نصره أُمته في صراعها مع قوى الشر والفساد والطغيان .

قال الصرصري حين انقطع موكب الحاج من بغداد بسبب
الأحداث التي سبقت سقوط بغداد :

مُنْعِنَا الْحَجَّ وَالسَّبْبُ الذَّنُوبُ

ونحن عن المعاصي لا نتوب

تطاول منعه عاماً عاماً .

فكيف يَلْدُ عَيْشٌ أَوْ يَطِيبُ

ومما العَجَبُ انقطاع الحج لكنْ

دوام سرورنا عَجَبٌ عَجِيبُ!

أَيَغْلَقُ بَاب كُلِّ الْخَيْرِ عِنَّا

ولا تَبْكِي؟ لَقَدْ قَسَتِ الْقُلُوبُ!

وكيف وَجُلُّ مَطْعَمِهَا حَرَامُ

يكون من الخشوع لها نصيبُ؟!

(١) من مقال لأحمد عبدالمعطي حجازي بعنوان : أسئلة الشعر بجريدة بتاريخ ١١/١/١٩٨٩ م .

جزى الله الوشاة جزاء سوء
 فإنهم بنا قد يولعوننا
 ولو لم نخش إلا الناس كانوا
 علينا في الإساءة هيينا
 ولكننا نخاف الله حقاً
 ونخشى الله إسلاماً وديناً
 ونستحي ونرعى غيب مجمل
 ونحن على المودة منطوين (١)
 إن الشاعر المسلم يشعر كغيره بالعاطفة الفطرية ويتأثر بالجمال ،
 لكنه محكوم في تعبيره وسلوكه بالمنهج الخلقي الذي جاء به الإسلام .
 روى الزبير عن أبيه عن جده قال :
 قال عثمان زر حُبَابَةَ بِالْعَرَصَةِ
 تُحَدِّثُ تَحِيَّةً وَسَلَامًا
 ثم تلهو إلى الصبح ولا تقمر
 سرب في اللهو والحديث حراماً
 وصفوها فلم أزل عليم الله
 مُسْتَوَلَهَا مُسْتَهَامًا
 هل عليها في نظرة من جناح
 من فتى لا يزور إلا لأمأ
 حال فيها الإسلام دون هواه
 فهو يهوى ويرقب الإسلاماً
 ويميل الهوى به ثم يخشى
 أن يطيع الهوى فيلقى أثاماً (٢)

(٢) ذم الهوى لابن الجوزي ٢٣٧ .

(١) الزهرة ١ / ٧٠ .

للمتأمل . . . وتعبيره عن مشاعر الأمة ونقده لخطايا المجتمع يدل على التزامه بوظيفة الشاعر المسلم . . .

حين جاء التتار :

وحين جاءت طلائع التتار إلى بغداد ثم ولوا منهزمين تحت الليل ،
قبل سقوط بغداد سنة ٦٥٦ يقول الصرصري :

أشكرو إلى الله الشديدِ القَهْرِ

مِنْ فِتْنَةٍ ثُمُوجُ مَوْجِ الْبَحْرِ
تَغْلِي مِنَ الشَّرِّ كَغَلَى الْقِذْرِ

قَدْ مَلَأَتْ بَرْغُبَهَا وَالذُّغْرِ
فَبَوَّادَ كُلِّ فَاجِرٍ وَبَرِّ

حَلَّتْ مِنَ الْأَرْضِ بِكُلِّ قُطْرِ
وَفَتَكَتْ بِيَدِ دُوهَا وَالْحَضَرِ

فَأَمَعَنْتْ بِنَايِهَا وَالظُّفْرِ
وَأَوْطَأَتْهُمْ مِثْلَ حَرِّ الْجَمْرِ

تَهَوَّى عَلَى النَّاسِ هُوَى الصَّقْرِ
عَلَى بُغَايِثِ هُمٍ فِي وَكْرِ

جَاءَتْ مِنَ الشَّرْقِ كَسَيْلِ غَمْرِ
أَوْ رِيحِ نَخَسٍ أَقْبَلَتْ بِصَرِّ

فِي مُجْدِبِ أَشْهَبِ مُقْشَعِرِّ
فَنَذَبَتْ بِنَعْمٍ وَثَمَرِ

أَوْ جَائِثِ أَحْمَرِ مُقْمَطِرِّ

جزى الله الوشاة جزاء سوء
 فإنهم بنا قد يولعوننا
 ولو لم نخش إلا الناس كانوا
 علينا في الإساءة هيئنا
 ولكننا نخاف الله حقاً
 ونخشى الله إسلاماً وديناً
 ونستحي ونرعى غيب مجمل
 ونحن على المودة منطوين (١)
 إن الشاعر المسلم يشعر كغيره بالعاطفة الفطرية ويتأثر بالجمال ،
 لكنه محكوم في تعبيره وسلوكه بالمنهج الخلقي الذي جاء به الإسلام .
 روى الزبير عن أبيه عن جده قال :
 قال عثمان زر حُبَابَةَ بِالْعَرَصَةِ
 تُحَدِّثُ تَحِيَّةً وَسَلَامًا
 ثم تلهو إلى الصبح ولا تقمر
 سرب في اللهو والحديث حراماً
 وصفوها فلم أزل عليم الله
 مُسْتَوَلَهَا مُسْتَهَامًا
 هل عليها في نظرة من جناح
 من فتى لا يزور إلا لأمأ
 حال فيها الإسلام دون هواه
 فهو يهوى ويرقب الإسلاماً
 ويميل الهوى به ثم يخشى
 أن يطيع الهوى فيلقى أثاماً (٢)

(٢) ذم الهوى لابن الجوزي ٢٣٧ .

(١) الزهرة ١ / ٧٠ .

مُعْتَقِلِي الدَّنَّ الْعَوَالِي السُّمَرِ
لُنُصْرَةِ السُّدَيْنِ وَشُدِّ الْأَزْرِ
فَهُوَ عَلَيْهِمْ وَاجِبٌ بِالْأَمْرِ
لَيْسَ لَهُمْ فِي تَرْكِهِ مِنْ عُذْرِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ عَنْدهُمْ فِي الْأَجْرِ
مِنْ رَغَبٍ أَوْ طَلِبٍ لِشُكْرِ
فَأَيْنَ غَيْرَةُ الْمَلُوكِ الْغُرِّ
عَلَى الْمُصُونَاتِ ذَوَاتِ الْخِذْرِ
مَنْ كَيْدَ أَرْبَابِ الْخَنَاءِ وَالْخَتْرِ
وَالنَّاسِ مِنْ غَفْلَتِهِمْ فِي بَسْتَرِ
يَرْجُونَ بِاللَّهُوِ وَشَرِبِ الْخَمْرِ
نَصْرًا وَأَتَى لَهُمُ الْبُغْتَرِ
لَوْ بَدَا طِمَاعُ الْمَغْتَرِ
وَأَقْلَعُوا عَنْ حَوْبَةِ الْمَصْرِ
إِقْلَاعِ عَبِيدٍ وَجَلِّ مُقْرِ
بِمَوْجِبِ الذَّنْبِ الثَّقِيلِ الْوِزْرِ
وَأَخْلَصُوا قَنُوتَهُمْ فِي الْفَجْرِ
وَحَشَدُوا فِي الْجُمُعَاتِ الْغُرِّ
وَأَخْرَجُوا فِي ضَرْعٍ وَجَارِ
كَفَعْلِهِمْ عِنْدَ احْتِبَاسِ الْقَطْرِ
لَعَجَلِ السَّرْحِ كَشَفِ الضَّرِّ
عَنْهُمْ وَفَازُوا بِالرِّضَا وَالْغَفْرِ (١)

هكذا كانت حال المسلمين أمام التتار، ورعبهم في مواجهتهم،

(١) «ديوانه المخطوط نسخة مكتبة شستريتي» مصورة بمركز إحياء التراث الإسلامي بمكة المكرمة.

ولا نقف هنا عند حكم النظرة التي يتمناها هذا الشاعر . . .
فلعلها نظرة خاطب . . وهي جائزة بمقاييسها الشرعية لكننا نقف عند
الصراع النفسي الذي يواجهه بين الهوى الجامح والتوجيه الإسلامي
الراشد . . فهو يهوى ويرقب الإسلام . . ويميل الهوى به ثم يخشى أن
يطيع الهوى . .

فأين من هذا الأفق العالي ماتدنى إليه التعبير عن الغريزة لدى
فسقة الشعراء في القديم وفسقتهم في العصر الحديث - من إسفاف
وحوانية . . وإثارة للغرائز وإضرار لنيران الشهوات . . مما يسمونه حرية
وإبداعاً وهو الانحلال والانحطاط والعبودية للمنحليين . . .

ومع هذه التأثيرات العميقة للتوجيه الإسلامي في الأدب العربي
التي ظهرت لدى شعراء خلطوا عملوا صالحاً وآخر سيئاً - فقد ظهر في
تاريخ الشعر العربي شعراء أخلصوا أنفسهم لعقيدة الإسلام به . .
فلم يصدر عنهم قول سيئ ، ولم يتناولوا في أشعارهم غرضاً ياباه
هدى الإسلام . .

ونمثل هؤلاء بشاعر أموي في القرن الهجري الأول هو سابق
البربري . وشاعر عباسي في القرن السابع الهجري هو ابويحيى
الصرصري .

وشاعر أندلسي في القرن الخامس الهجري هو أبو إسحق
الإلبيري .

ولا نستطيع في مجالنا هذا أن نقدم صورة مفصلة عن كل واحد من
هؤلاء ، فذلك يحتاج إلى دراسة واستقصاء .

مَالَهَا مِنْ عِدَاتِهَا مُسْتَيْحٌ
 وَلَوْ اسْتَجْمَعَتْ طُغَاةُ الْأَنَامِ
 قَدْ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ
 سَيْفُ الْمُحْتَجِّ عِنْدَ الْخِصَامِ
 قَالَ أَشْيَاخُنَا هِيَ الْبِلْدُ الْجَا
 مَعُ فِيهِ تَكُونُ دَارُ الْإِمَامِ
 فَهِيَ الْآنَ لَا عَالَةَ بَغْدَادِ
 مَحَلُّ الْإِمَامِ دَارُ السَّلَامِ
 فَلَمَّا ذَا الْقُلُوبِ فِيهَا ارْتِيَاعٌ
 وَهُوَ أَزْوَى الْوَرَى بِعَقْدِ ذِمَامِ
 وَأَرَى الرَّعْبَ بَعْدَ هَذَا عِقَابَا
 هُوَ عَقْبَى كَسْبِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ
 قَسَمًا بِسَالِمِ الْهَيْمَنِ الْبَرِّ لَوْلَا
 وَغَدُ صِدْقِ الْوَحْيِ لَا الْإِلْهَامِ
 لَمْ أَكُنْ ارْتَجِي لِأَكْثَرِ أَهْلِ
 الْأَرْضِ خَيْرًا لَجْهَلِهِمْ وَالتَّعَامِي
 فَرَّطُوا فِي الصَّلَاةِ حَتَّى أَضَاعُوا
 وَقْتَهَا وَالزَّكَاةَ فِي كُلِّ عَامِ
 وَفَشَا فِيهِمُ الْفُسُوقُ وَشُرْبُ الْخَمْرِ
 بَعْدَ الرِّبَا وَكَسْبِ الْحَرَامِ
 شَاعَ فِيهِمْ سَبُّ الصَّحَابَةِ وَالْقَوْلِ
 بِخُلُقِ الْقُرْآنِ ذِي الْأَحْكَامِ

ولا نقف هنا عند حكم النظرة التي يتمناها هذا الشاعر . . .
فلعلها نظرة خاطب . . وهي جائزة بمقاييسها الشرعية لكننا نقف عند
الصراع النفسي الذي يواجهه بين الهوى الجامح والتوجيه الإسلامي
الراشد . . فهو يهوى ويرقب الإسلام . . ويميل الهوى به ثم يخشى أن
يطيع الهوى . .

فأين من هذا الأفق العالي ماتدنى إليه التعبير عن الغريزة لدى
فسقة الشعراء في القديم وفسقتهم في العصر الحديث - من إسفاف
وحوانية . . وإثارة للغرائز وإضرار لنيران الشهوات . . مما يسمونه حرية
وإبداعاً وهو الانحلال والانحطاط والعبودية للمنحلين . . .

ومع هذه التأثيرات العميقة للتوجيه الإسلامي في الأدب العربي
التي ظهرت لدى شعراء خلطوا عملوا صالحاً وآخر سيئاً - فقد ظهر في
تاريخ الشعر العربي شعراء أخلصوا أنفسهم لعقيدة الإسلام به . .
فلم يصدر عنهم قول سيئ ، ولم يتناولوا في أشعارهم غرضاً ياباه
هدى الإسلام . .

ونمثل هؤلاء بشاعر أموي في القرن الهجري الأول هو سابق
البربري . وشاعر عباسي في القرن السابع الهجري هو أبو يحيى
الصرصري .

وشاعر أندلسي في القرن الخامس الهجري هو أبو إسحق
الإلبيري .

ولا نستطيع في مجالنا هذا أن نقدم صورة مفصلة عن كل واحد من
هؤلاء ، فذلك يحتاج إلى دراسة واستقصاء .

شهرة هذا الشاعر على أعماله الزهدية خاصة . لكن شهرته بين الأوروبيين تعود في المقام الأول إلى قصيدته الشعرية الشهيرة التي توجه بها إلى بربر صنهاجة يحرضهم فيها على اليهودي «يوسف بن النغرة» وزير الملك «باديس» وهي القصيدة رقم خمسة وعشرين في الديوان .

والحق أن القصيدة تستحق ماحظيت به من شهرة . ولا نعرف إلا في القليل النادر أن أبياتاً من الشعر لعبت دوراً سياسياً مباشراً في التاريخ السياسي لأمة من الأمم فكهربت العزائم ، ودفعت بها في سرعة خاطفة إلى إشعال الحرائق وشحذت السيوف للقتل ، كالدور الذي لعبته هذه القصيدة .

يشير هذا المستشرق الأسباني إلى الواقعة التي ثار فيها المسلمون على اليهود واحتكارهم في غرناطة في التاسع من صفر عام تسع وخمسين وأربعمائة الموافق للثلاثين من ديسمبر عام ست وستين وألف من الميلاد ، ويواصل حديثه قائلاً :

«لم يحدث أبداً أن كان البُغض ذا بصيرة ، ولا الشراسة أكثر فطنة ، كما حدث في هذا اليوم . ومن المثير حقاً أن نرى في قرن واحد الشعر غارقاً في الصناعة والشعراء مولعين بنظم النجوم والتوهان في الحداثق . :

لكن هذا الشيخ لا يهدأ ، إنه برعم وفي لدم عربي . . لم يستطع أبو إسحاق أن يهاجم باديس مباشرة ، ولا يستطيع أيضاً أن يحرك أداة أخرى غير جنود بربر صنهاجة المتمردين . وهؤلاء ليسوا مهينين للأشعار الرقيقة وحظهم من العربية محدود ، وكل قدرتهم ربما أن يفهموا المعنى العام لقصيدة شعرية فحسب ، ومع ذلك فليس مهما : سوف يتعد الشاعر في هذه المناسبة عن الكلمات الغامضة والبحور المعقدة ، وعن الرموز الشعرية وعن الأوصاف والأقوال المكرورة في مصنع

ولا نقف هنا عند حكم النظرة التي يتمناها هذا الشاعر . . .
فلعلها نظرة خاطب . . وهي جائزة بمقاييسها الشرعية لكننا نقف عند
الصراع النفسي الذي يواجهه بين الهوى الجامح والتوجيه الإسلامي
الراشد . . فهو يهوى ويرقب الإسلام . . ويميل الهوى به ثم يخشى أن
يطيع الهوى . .

فأين من هذا الأفق العالي ماتدنى إليه التعبير عن الغريزة لدى
فسقة الشعراء في القديم وفسقتهم في العصر الحديث - من إسفاف
وحوانية . . وإثارة للغرائز وإضرار لنيران الشهوات . . مما يسمونه حرية
وإبداعاً وهو الانحلال والانحطاط والعبودية للمنحلين . . .

ومع هذه التأثيرات العميقة للتوجيه الإسلامي في الأدب العربي
التي ظهرت لدى شعراء خلطوا عملوا صالحاً وآخر سيئاً - فقد ظهر في
تاريخ الشعر العربي شعراء أخلصوا أنفسهم لعقيدة الإسلام به . .
فلم يصدر عنهم قول سيئ ، ولم يتناولوا في أشعارهم غرضاً ياباه
هدى الإسلام . .

ونمثل هؤلاء بشاعر أموي في القرن الهجري الأول هو سابق
البربري . وشاعر عباسي في القرن السابع الهجري هو ابويحيى
الصرصري .

وشاعر أندلسي في القرن الخامس الهجري هو أبو إسحق
الإلبيري .

ولا نستطيع في مجالنا هذا أن نقدم صورة مفصلة عن كل واحد من
هؤلاء ، فذلك يحتاج إلى دراسة واستقصاء .

والقصيدة كما وردت في ديوان هذا الشاعر تبلغ سبعة وأربعين بيتاً
بدأها بقوله :

ألا قل لسنهاجة أجمعين بدور الندى وأشد العرين
لقد زلَّ سيدكم زلَّةً أقرَّ بها أعيُن الشامتين
نخير كاتبه كافراً ولو شاء كان من المسلمين
فعزَّ اليهود به وانتخوا وتاهوا وكانوا من الأرذلين
ونالوا مناهم وجازوا المدى فحان الهلاك وما يشعرون
فكم مسلمٍ فاضلٍ قانت لأرذلٍ قردٍ من المشركين
وما كان ذلك من سعيهم ولكنَّ منا يقوم المعين
فهلاً اقتدى فيهم بالألى من القادة الخيرة المتقين
وأنزلهم حيث يستأهلون وردَّهم أسفل السافلين
ولم يستخفوا بأعلامنا ولم يستطيلوا على الصالحين
ثم يخاطب أمير غرناطة قائلاً :

أباديسُ أنت أمرؤ حاذق تصيب بظنك نفسَ اليقين
فكيف اختفت عنك أعيانهم وفي الأرض تُضرب منها القرون
وكيف يتمُّ لك المرتقى إذا كنت تَبني وهم يهدمون
وكيف استنمت إلى فاسق وقارنته وهو بثس القرين
فلا تتخذ منهم خادماً وذَرهم إلى لعنة اللاعنين
فقد ضجَّت الأرض من فسقهم وكادت تميد بنا أجمعين !

أما لماذا استحق اليهود في غرناطة نقمة هذا الشاعر المسلم فإنه
يقدم لنا الأسباب المقنعة إذ يقول :

ولا نقف هنا عند حكم النظرة التي يتمناها هذا الشاعر . . .
فلعلها نظرة خاطب . . وهي جائزة بمقاييسها الشرعية لكننا نقف عند
الصراع النفسي الذي يواجهه بين الهوى الجامح والتوجيه الإسلامي
الراشد . . فهو يهوى ويرقب الإسلام . . ويميل الهوى به ثم يخشى أن
يطيع الهوى . .

فأين من هذا الأفق العالي ماتدنى إليه التعبير عن الغريزة لدى
فسقة الشعراء في القديم وفسقتهم في العصر الحديث - من إسفاف
وحوانية . . وإثارة للغرائز وإضرار لنيران الشهوات . . مما يسمونه حرية
وإبداعاً وهو الانحلال والانحطاط والعبودية للمنحلين . . .

ومع هذه التأثيرات العميقة للتوجيه الإسلامي في الأدب العربي
التي ظهرت لدى شعراء خلطوا عملوا صالحاً وآخر سيئاً - فقد ظهر في
تاريخ الشعر العربي شعراء أخلصوا أنفسهم لعقيدة الإسلام به . .
فلم يصدر عنهم قول سيئ ، ولم يتناولوا في أشعارهم غرضاً ياباه
هدى الإسلام . .

ونمثل هؤلاء بشاعر أموي في القرن الهجري الأول هو سابق
البربري . وشاعر عباسي في القرن السابع الهجري هو ابويحيى
الصرصري .

وشاعر أندلسي في القرن الخامس الهجري هو أبو إسحق
الإلبيري .

ولا نستطيع في مجالنا هذا أن نقدم صورة مفصلة عن كل واحد من
هؤلاء ، فذلك يحتاج إلى دراسة واستقصاء .

المهيمن للجماعة المسلمة ، فكيف تكون حوائجهم عند يهودي ، وكيف تكون أسرارهم في يده وكيف يعيش المسلمون في غرناطة في ضنك وشدة ، واليهود في دعة ورفاهية . . .

وقد برر ابواسحاق الالبيري دعوته هذه بقولة :

وقد نكسوا عهدنا عندهم فكيف نلام على الناكثين
وكيف تكون لهم ذمة ونحن خمول وهم ظاهرون
ونحن الأذلة من بينهم كأننا أسانأ وهم محسنون
فلا ترض فينا بأفعالهم فأنت رهين بما يفعلون
وراقب إلهك في حربه فحزب الإله هم الغالبون(١)

استنهاض العزائم :

ونستطيع أن نقول إن هذه القصيدة مثل لمهمة الشعر الإسلامي في استنهاض العزائم وتوجيه الأمة إلى درأ الخطر والقيام بالواجب وتلك سمة أساسية من سمات الأدب الإسلامي إذ لا يقر الإسلام ذلك العبث الذي يقوم به المتحللون بحلية الشعر . . الذين يشغلون الناس بمباذهم ورؤاهم المجنونة وتراكيبهم الغريبة . . فهذا هدم وتخريب وإلهاء للناس عن الجِد والاستقامة ورؤية الحقيقة .

ودبوان الالبيري كله شاهد على أنه استخدم موهبته هذه في البناء لا الهدم ، والدعوة إلى الاستقامة والنهي عن الانحراف وقد أبان لنا وعيه بخاصة الشاعر المسلم إذ قال :

لو أنني أدعو الكلام أجابني كإجابة المأسور دعوة أسر

(١) القصيدة ٢١ من ديوانه .

ولا نقف هنا عند حكم النظرة التي يتمناها هذا الشاعر . . .
فلعلها نظرة خاطب . . وهي جائزة بمقاييسها الشرعية لكننا نقف عند
الصراع النفسي الذي يواجهه بين الهوى الجامح والتوجيه الإسلامي
الراشد . . فهو يهوى ويرقب الإسلام . . ويميل الهوى به ثم يخشى أن
يطيع الهوى . .

فأين من هذا الأفق العالي ماتدنى إليه التعبير عن الغريزة لدى
فسقة الشعراء في القديم وفسقتهم في العصر الحديث - من إسفاف
وحوانية . . وإثارة للغرائز وإضرار لنيران الشهوات . . مما يسمونه حرية
وإبداعاً وهو الانحلال والانحطاط والعبودية للمنحليين . . .

ومع هذه التأثيرات العميقة للتوجيه الإسلامي في الأدب العربي
التي ظهرت لدى شعراء خلطوا عملوا صالحاً وآخر سيئاً - فقد ظهر في
تاريخ الشعر العربي شعراء أخلصوا أنفسهم لعقيدة الإسلام به . .
فلم يصدر عنهم قول سيئ ، ولم يتناولوا في أشعارهم غرضاً ياباه
هدى الإسلام . .

ونمثل هؤلاء بشاعر أموي في القرن الهجري الأول هو سابق
البربري . وشاعر عباسي في القرن السابع الهجري هو أبو يحيى
الصرصري .

وشاعر أندلسي في القرن الخامس الهجري هو أبو إسحق
الإليري .

ولا نستطيع في مجالنا هذا أن نقدم صورة مفصلة عن كل واحد من
هؤلاء ، فذلك يحتاج إلى دراسة واستقصاء .

ويقول :

عنواصف الخريف في ليل السهاد
علّمت البلبَل —رجيع النّغم
دم الأمانى فيه للشعر مداد
وفي خُطوب الدهر أشعار الحِكم
وقد كان إقبال يهدف إلى اصطناع لغة تفهمها قلوب أمته ، وتعيها
أرواحهم وتصل من خلالها إليهم رسالة قلبه وخلاصة تجربته وذلك إذ
يقول :

أثرتُ بنغمتي كلّ النوادي
ومن شرّ الحياة جعلتُ زادي
أضياء القلب من عقلي ولكن
جعلت عيَار عقلي في فؤادي (١)
وكان يرى أن العناصر في الكون تتجاوب مع الشاعر وتليى نداءه
إذا تحدث إليها بلغة الإيثار :

ندائك في العناصر مستجاب
إذا دوى بصوت من بلال
بل يتجاوز تأثير هذا الشعر الإسلامي الكون كله ويصل إلى ما فوقه
مادام روح الإيمان يسرى فيه :

كلامُ الروح للأرواح يسري
وتدركه القلوب بلا عناء
هتفتُ به فطار بلا جناح
وشق أنينه صدر الفضاء
ومعدنه ترابي ولكن

جرت في لفظه لغة السماء (٢)

(١) محمد إقبال رسالة المشرق ترجمة دكتور عبدالوهاب عزام رباعية رقم ١٣٩ .

(٢) من قصيدة شكوى وجواب لمحمد إقبال ترجمة الصاوي شعلان .

ولا نقف هنا عند حكم النظرة التي يتمناها هذا الشاعر . . .
فلعلها نظرة خاطب . . وهي جائزة بمقاييسها الشرعية لكننا نقف عند
الصراع النفسي الذي يواجهه بين الهوى الجامح والتوجيه الإسلامي
الراشد . . فهو يهوى ويرقب الإسلام . . ويميل الهوى به ثم يخشى أن
يطيع الهوى . .

فأين من هذا الأفق العالي ماتدنى إليه التعبير عن الغريزة لدى
فسقة الشعراء في القديم وفسقتهم في العصر الحديث - من إسفاف
وحوانية . . وإثارة للغرائز وإضرار لنيران الشهوات . . مما يسمونه حرية
وإبداعاً وهو الانحلال والانحطاط والعبودية للمنحليين . . .

ومع هذه التأثيرات العميقة للتوجيه الإسلامي في الأدب العربي
التي ظهرت لدى شعراء خلطوا عملوا صالحاً وآخر سيئاً - فقد ظهر في
تاريخ الشعر العربي شعراء أخلصوا أنفسهم لعقيدة الإسلام به . .
فلم يصدر عنهم قول سيئ ، ولم يتناولوا في أشعارهم غرضاً ياباه
هدى الإسلام . .

ونمثل هؤلاء بشاعر أموي في القرن الهجري الأول هو سابق
البربري . وشاعر عباسي في القرن السابع الهجري هو ابويحيى
الصرصري .

وشاعر أندلسي في القرن الخامس الهجري هو أبو إسحق
الإلبيري .

ولا نستطيع في مجالنا هذا أن نقدم صورة مفصلة عن كل واحد من
هؤلاء ، فذلك يحتاج إلى دراسة واستقصاء .

وألفاظه وإيقاعاته ، فليس في الإسلام ما يحد حريته الفنية ولا ما يلزمه بنمط معين في التصوير والتعبير .

فلنتواصل بأن نعيد إلى أدبنا الإسلامي نضارته وابداعه . . حتى يعود إلى أدبنا العربي وجهه الإسلامي المشرق وعاطفته الكريمة الزاخرة وإيقاعه المطرب الجميل .

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
من سمات الأدب الإسلامي.....	٩
دعوة للإنفصال عن العقيدة.....	١١
لأبد من الرجوع إلى ديوان الشعر العربي.....	١٢
«اليوت» والدين!.....	١٣
شاهد منهم.....	١٤
الخرجاني برىء.....	١٧
للإسلام رأيه في الشعر.....	١٩
لا استثناء للشعر.....	٢٢
زعم باطل.....	٢٤
مثالان من المخضرمين.....	٢٤
العظماء من شعراء العرب في الإسلام أربعة.....	٢٥
أول قصيدة ترسم صورة لنفسية الحيوان.....	٢٩
ذو الرمة ومشاعر الطيبة.....	٣٢
ارتقاء بالمشاعر نحو الحيوان.....	٣٣
أبيات من الحكمة حميد.....	٣٤
الراجز المسلم : العجاج بن رؤية.....	٣٦
رؤية لتاريخ الإسلام.....	٣٧
سلوك مثالي.....	٣٨

٤٠.....	تأثر بالقرآن
٤١.....	تجربة ذاتية
٤٧.....	شعراء أخلصوا شعرهم للإسلام
٤٩.....	شعر العاطفة العفيفة
٥١.....	سابق لبربري
٥٥.....	موعظة لخليفة
٥٦.....	مقولات خاطئة
٥٨.....	شاعر من بغداد : يحيى الصرصري
٦٠.....	التزام الشاعر المسلم بقضايا الأمة
٦١.....	الواقعية لا تنافي الإبداع
٦٣.....	حين جاء التتار
٦٨.....	شاعر من الأندلس :
٧٠.....	القصيدة التي أخرجت اليهود من غرناطة
٧٣.....	استنهاض العزائم
٧٤.....	الأدب الإسلامي في عصرنا الحديث